لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

# كيف تحفظ القرآن

د. محمد محمود عبد الله

دار الشواف

كيف تحفظ القرآن

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

﴿ولقد يسَّرْنا القرآنَ للذِّكْر فهل مِنْ مُدَّكِرْ﴾

# كيف تحفظ القرآن

د. محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

دار الشواف

* د. محمّد محمود عبد الله: **كيف تحفظ القرآن.**
* **الطبعة الأولى، ١٩٩٣.**
* **جميع الحقوق محفوظة.**
* **الناشر**: دار الشـوّاف للنشر والتوزيع.
ص.ب ٤٣٣٠٧ الرياض ١١٥٦١/ هاتف ٤٦٢٢٦٣٠ - ٤٦٢٢٦٦٧
تلكس ٤٠١٢٤٩ إس. جي / فاكس ٤٦٢٢٨٦٦
شارع الثلاثين العليا - الرياض.
المملكة العربية السعودية.

# بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ولقد يَسَّرْنا القرآن للذِّكْر فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرْ﴾

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفىٰ، وتبارك المنزِّل على عبده: ﴿الرَّحمٰن. علَّمَ القرآن. خلقَ الإنسان. علَّمه البيان﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

وبعد؛

فهذا مختصرٌ رائدٌ، في حصر الفوائد ومعرفة كيف تظفر بحفظ كتاب الله الخالد، أقدِّمه للذين قال عنهم الحق وكفى أنّه أورثه من اصطفىٰ. فميراث الكتاب منحةٌ من القادر الوهّاب، وكفى بأهل القرآن فخراً أنهم صفوة الخلق وأحباب الحقّ جلَّ وعلا، وأهله في الناس.

وحسبهم ما قرره التنزيل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتابَ الذين اصطفينا مِنْ عِبادنا﴾ [فاطر: ٣٢].

ومما يسعد به أهل القرآن أنَّ مرتبةَ علم القرآن سابقةٌ على مرتبة خلق الإنسان، ومرتبةُ خَلْق الإنسان سابقةٌ على مرتبة علم البيان، وعلمُ البيان ثلاثة أنواع:

١ ـ لسان الحال: أي النّطق باللسان تعبيراً عما يجيش في الصدر.

٢ ـ القلم: فيه تُثبت الحروف فتكوِّن الكلام.

٣ ـ الإشارة: وهي الثالثة من أنواع البيان وبها تتم لذة الأفهام، وصَدَق الحق جلّ وعلا إذ يقول: ﴿فأشارَتْ إليه﴾ [مريم: ٢٩].

وهذا المختصر الرائد، ضمَّنتُه فوائد يسعد بها كلّ مؤمن بكتاب متعبّد راكع ساجد.

وقد اشتمل على الحَصْر الأوّل من نوعه لعدد حروف الهجاء؛ كلٌّ حرف منها ورد في القرآن العظيم كم مرّة... وفوائد جليلة سيأتي بيانها.

واللَّهَ تعالى أسأل أنْ ينفع بها الطالبين والسالكين، وكلَّ من شرح الله تعالى صدره لحفظ كتابه وتدبُّر معانيه، فينال مرتبة ورثة الكتاب، الذين توعَّدهم الحقُّ عزَّ شأنه بقوله: ﴿ليوفيهم أجورَهم ويزيدهم من فضله إنّه غفور شكور﴾ [فاطر: ٣٠]. فطوبى لمن أخذ بالأسباب وأخلص لله في خدمة الكتاب.

والله حسبي وهو من وراء القصد معين. وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

**خادم القرآن طمعاً في الغفران**
**محمد محمود عبدالله**
**مدرس علوم القرآن بالأزهر**

# حـروف القـرآن

وقبـل أنْ نتكلَّم عن الفوائـد: إليـك الحَصْـر الأوّل من نـوعـه لإجمالي عدد حروف الهجاء كلُّ حرفٍ منها ورد كم مرّةً في القرآن العـظيم جميعه؛ من الألف إلى اليـاء، لكي نتعـرّف على المبـاني التي تكون منها كلمات الذِّكر الحكيم.

١ ـ حرف الألف: في القرآن ٤٨٨٠٠ «أ».
٢ ـ حرف الباء: في القرآن ١١٢٠٢ «ب».
٣ ـ حرف التاء: في القرآن ١٠١٩٩ «ت».
٤ ـ حرف الثاء: في القرآن ١٢٧٦ «ث».
٥ ـ حرف الجيم: في القرآن ٣٢٧٣ «ج».
٦ ـ حرف الحاء: في القرآن ٣٩٩٠ «ح».
٧ ـ حرف الخاء: في القرآن ٢٤١٦ «خ».
٨ ـ حرف الدال: في القرآن ٥٦٤٢ «د».
٩ ـ حرف الذال: في القرآن ٤٦٩٩ «ذ».
١٠ ـ حرف الراء: في القرآن ١١٧٩٣ «ر».
١١ ـ حرف الزاي: في القرآن ١٥٧٠ «ز».
١٢ ـ حرف السين: في القرآن ٥٨٩٠ «س».

١٣ ـ حرف الشين: في القرآن ٢٢٥٣ «ش».
١٤ ـ حرف الصاد: في القرآن ١١٨٠ «ص».
١٥ ـ حرف الضاد: في القرآن ٢٢٩٣ «ض».
١٦ ـ حرف الطاء: في القرآن ٣١٧٤ «ط».
١٧ ـ حرف الظاء: في القرآن ٠٨٤٢ «ظ».
١٨ ـ حرف العين: في القرآن ٩٠٢٠ «ع».
١٩ ـ حرف الغين: في القرآن ٢٢٠٨ «غ».
٢٠ ـ حرف الفاء: في القرآن ٨٤٩٩ «ف».
٢١ ـ حرف القاف: في القرآن ٦٨١٣ «ق».
٢٢ ـ حرف الكاف: في القرآن ١٤٥٥٥ «ك».
٢٣ ـ حرف اللام: في القرآن ٣٣٥٢٢ «ل».
٢٤ ـ حرف الميم: في القرآن ٢٦٥٦٥ «م».
٢٥ ـ حرف النون: في القرآن ٢٦٣٥٤ «ن».
٢٦ ـ حرف الهاء: في القرآن ١٩٠٧٠ «هـ».
٢٧ ـ حرف الواو: في القرآن ٢٦٥٦٥ «و».
٢٨ ـ حرف اللام ألف: في القرآن ٠٤٠٩٩ «لا».
٢٩ ـ حرف الياء: في القرآن ٢٥٩٠٩ «ي».

وبهذا يتم عدد حروف القرآن جميعه ٣٢٣٦٧١ حرفاً.

وهذه الحروف تكوِّن في مجموعها «٧٧٤٣٧» كلمة.

أمَّا النّقط في القرآن فمجموعها ١٥٠٦٨١ نقطة.

وهي ليست حروفاً ولكنّها وضعت لتمييز بعض الحروف التي اتحدت شكلاً مع بعضها البعض.

والنّقط في القرآن الكريم، آحادية، ثنائية، ولم تجاوز الثلاثية قط. أمثلة: ب ن ف: ت ق ي: ث ش.

أمّا النقط الآحادية في الشّكل فتميّز بها حروف تسعة وهي:

١ ـ الباء: عن التاء والثاء هكذا: «ب».
٢ ـ الجيم: عن الحاء والخاء: هكذا: «ج».
٣ ـ الخاء: عن الجيم والحاء: هكذا: «خ».
٤ ـ الذال: عن الدال: هكذا: «ذ».
٥ ـ الزاي: عمن الراء: هكذا: «ز».
٦ ـ الظاء: عن الطاء: هكذا: «ظ».
٧ ـ الغين: عن العين: هكذا: «غ».
٨ ـ الفاء: عن القاف: هكذا: «ف».
٩ ـ النون: عن الباء والتاء والثاء: هكذا: «ن».

وهذه الحروف التسعة: يتكون منها هذه الكلمات الثلاث:

١ ـ نزغ. ٢ ـ جبخ. ٣ ـ ظفز.

أمّا النقط الثنائية، فتميز بها حروف ثلاثة هي:

١ ـ التاء: عن الباء والثاء: هكذا: «ت».
٢ ـ القاف: عن الفاء: هكذا: «ق».
٣ ـ الياء: عمن النبرة: مثل: ملائكة: أولئك.

أو في كلمات: قلائل، أوائل، دلائل. فتُكتب الياء مميَّزةً هكذا: «ي» مثل: والله يقضي بالحق، أو يا أيها، بنيان، يوم، يمنون، وهكذا.

وهـذه الحروف الثـلاثة، أعني التـاء، والقاف، واليـاء، يتكوّن منها كلمة: «تقي».

أمَّا النقط الثلاثية، فتميَّز بها حرفان اثنان هما:

١ ـ الثاء: عن الباء والتاء، هكذا: «ث».
٢ ـ الشين: عن الشين، هكذا: «ش».

وتكون كلمة «ثش أو شث».

وقد بيّنا أنَّ مجموع النقط في القرآن ١٥٠٦٨١ نقطة. ويسمّى هذا النقط بنقط الإعجام الذي تمّ به تمييـز الحروف كمـا وضّحنا، لأنَّ هناك نَقْطاً سابقاً عليه هو نَقْط الإعـراب الذي بـه تعرف حـركة الكلمة عند الـدَّرْج وبذلـك عُرِف المبتـدأ من الخبر، والفـاعلُ من المفعول وهكذا. وله أربع علامات هي:

١ ـ الفتحـة: وهي علامـة الفتح وتقـدَّر بنصف ألف، وتكون فوق الحرف هكذا: قالَ، طالَ، إنَّ اللهَ.

٢ ـ الكسرة: وهي علامـة الجرّ، وتقـدّر بنصف ياء، وتكـون تحت الحـرف هكـذا: لـلهِ ملك السمـواتِ والأرضِ، في جنّـاتِ عدنٍ، إلى اللهِ ترجع الأمور.

٣ ـ الضمّة: وهي علامة الرّفع، وتقدَّر بنصف واوٍ عند النُّطق أيضـاً كما هـو الحال في الفتحـة والكسـرة، وتكـون فـوق الحـرف هكذا: اللهُ لطيفٌ بعباده، تكادُ السمواتُ، الأخلاّءُ، اللَّهُ لا إلـه إلا هو الحيُّ القيومُ. إلخ.

٤ ـ السُّكون: وهو علامة الجزم، أي المنع من الحركة نحو: لم يلدْ، ولم يولدْ، قُلْ، هلْ، إلخ.

والذي وضع نقط الإعراب هو أبو الأسود الدّؤلي. أما نقط الإعجام، فوضعه نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر.

أمّا عدد حروف الهجاء التي هي مباني اللغة العربية، فتبلغ ٢٨ حرفاً من حيث الشكل هكذا: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س إلخ. إلا أنها ترتقي إلى ٨٤ حرفاً من حيث الهجاء: فتكتب الألف هكذا: «أ» شكلاً، لكنها تنطق ثلاثيةً هكذا: «ألف» إذن تضرب ٢٨ مجموع حروف الهجاء في ٣ هي كيفية النطق لحروف الهجاء فتكون الجملة هكذا: ٣ × ٢٨ = ٨٤ حرفاً. لأنَّ الحرف يُكتب خلاف ما يُنطق به.

أمّا الحروف التي تُنطق ثنائيةً في فواتح السُّور تخفيفاً، فعددها خمسة: وهي: الحاء، والراء، والطاء، والهاء، والياء. ويجمعها كلمة: «حي طهر».

وجاءت الرّاء حسب ترتيب سُوَر القرآن في افتتاحية ستّ سُوَرٍ منه هي:

١ ـ الر: يونس.
٢ ـ الر: هود.
٣ ـ الر: يوسف.
٤ ـ الر: الرّعد.
٥ ـ الر: إبراهيم.
٦ ـ الر: الحجر.

وجاءت الهاء والياء في افتتاحية سورة مريم: ﴿كهيعص﴾.

وجاءت الطاء والهاء أيضاً في افتتاحية سورة: ﴿طه﴾.

وجاءت الحاء في افتتاحية سور الحواميم: ﴿حم﴾.

وهذه الحروف الخمسة تنطق ثنائيةً. وسيأتي بيان ذلك مفصّلاً مع كيفية النطق لكل منها.

# تعريف القرآن العظيم

هو كلام الله تعالى القديم المنزَّل على سيِّدنا محمد ﷺ المنقول إلينا بالتّواتر، المتعبَّد بتلاوته، المتحدِّي بأقصر سورةٍ منه. دلّ على ذلك قولُه عزَّ ثناؤه: ﴿وإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنا فأْتوا بسُورةٍ مِنْ مِثْلِه وادْعوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دونِ الله إنْ كُنْتُمْ صَادِقين﴾ [البقرة: ٢٣]. تكلَّم به سبحانه حقيقةً وقد أشار لذلك بقوله: ﴿وإنْ أَحدٌ من المُشْرِكينَ استجارَكَ فأَجِرْهُ حتى يسمَعَ كلامَ الله﴾ [التوبة: ٦].

وقد تجلَّتْ رحمةُ الله واضحةً جليّةً بأمّة خير البريّة، بأنْ يسَّرَ عليها النّطق بكتابها كما يسَّر عليها في دينها. وقد أشار عزَّ ثناؤه لذلك بقوله: ﴿فإنّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لتبشِّر به المتّقين﴾. [مريم: ٩٧].

فالتيسير على الأمة رحمةٌ من ربّها تمثَّل في نزول القرآن بلسان نبيّها حتى يسهل عليها حفظ الكتاب وتدبُّر معانيه. ومما يسعد به المؤمن أنَّ القرآن عربيّ: ﴿قرآناً عربيّاً غيرَ ذي عِوَجٍ﴾ [الزّمر: ٢٨]، نزل بلسان عربي: ﴿بلسانٍ عربيٍّ مُبين﴾ [الشعراء:

١٩٥]. وحسبك قول الرسول الكريم ﷺ: «أُحبُّ العربيّةَ لثلاث: ١ ـ لأنني عربي، ٢ ـ والقرآن عربي، ٣ ـ ولغة أهل الجنة عربية».

أمَّا درجة تَفَاضُل الخير في أمّة خير الخلق محمد ﷺ، فقد بيَّنها بقوله: «خَيْرُكُم مَنْ تعلَّم القرآن وعَلَّمَه».

أمَّا عن رفعة وعلوّ مكانة أهل القرآن، فقد قال ﷺ: «الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَة الكرام البَرَرة».

أمَّا حفظ القرآن فهو ذِكْرٌ، بل أعلى مراتب الذِّكر لقوله عزَّ ثناؤه: ﴿ولقد يَسَّرنا القرآن للذِّكْر﴾ [القمر: ١٧].

أمَّا تلاوة القرآن، فعبادةٌ من أسمى صنوف العبادات يُثابُ صاحِبُها الحرفَ عَشْرَ حسنات، لا أقول ألِف لام ميم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف وميم حرف».

أمَّا مُدارَسَةُ القرآن، فتحقق الفوز بسعادة الدّارين الدنيا والآخرة، بل تحقق ما هو أسمى من ذلك لقوله ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يَتْلون القرآن ويتدارسونه فيما بينهم، إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرّحمة، ونزلت عليهم السّكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده».

اعلمْ، وفقني الله تعالى وإياكَ إلى العمل ابتغاء مرضاته، أنَّ الخير في ثلاث:

١ ـ من يُرِدِ الله به خيراً يفقِّهْهُ في الدّين.
٢ ـ من يُرِدِ الله به خيراً يزهِّدْه في الدنيا.
٣ ـ من يُرِدِ الله به خيراً يبصِّرْه بعيوب نفسه.

وآعلمْ أنّك لن ترتقي علَمَاً في الوجود ولن تُكشَف لك حُجُب الأستار كي ترى بنور الواحد القهار إلا إذا كان في القلب مثقال ذرة من تقوى، لقوله عزَّ ثناؤه: ﴿واتّقوا الله ويعلّمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقد جعل الحقُّ عزَّ شأنه، التقوى شرطاً لنيل الأماني وتحقيق المقاصد التي يتوصّل بها العبد إلى الفوز والرشاد والسّعادة في الدّارين.

١ ـ فمن ثمرات التقوى: أنّها تكون سبباً في كشف العلوم كما ذكرنا عالِيَهُ.

٢ ـ إنَّ التقوى هي خير الزّاد: ﴿وتزوَّدوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التّقوىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٣ ـ بها تكون درجة التّفاضُل بين الخَلْق: ﴿إنَّ أكرمَكُمْ عند الله أتقاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن ثمراتها أنّها تسبِّب القرب من المليك والفوز بمقعد الصِّدق يوم الجزاء: ﴿إنَّ المتّقينَ في جَنّاتٍ ونَهَرْ. في مقعدِ صَدْقٍ عند مَليكٍ مُقتدِر﴾ [القمر: ٥٤ـ٥٥].

ومن ثمراتها أنّها تسبِّب الفوز يوم الفَزَع الأكبر: ﴿إنَّ للمُتّقين مَفَازاً﴾ [النّبأ: ٣١].

ومن ثمراتها أنَّ العدلَ أحدُ دعامات القرب منها لقوله عزَّ شأنه: ﴿اعدِلوا هو أقربُ للتّقوىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وثمرات التّقوى لا تُحصىٰ. فواجبٌ على مُريد القرآن أنْ يتّخذ

منها طريقاً يسعد بها بمجاورة الرفيق الأعلى، فمن أراد أنْ يخاطِبَ الرحمنَ، يقرأ القرآن، ومن أراد أنْ يخاطبَه الرحمنُ، يسمع القرآن.

وقد عرَّف الإمام عليّ رضي الله عنه التّقوى فقال: هي: «الخوفُ من الجليل. والعملُ بالتنزيل. والرضىٰ بالقليل. والاستعداد ليوم الرّحيل. فطوبىٰ للمتّقين».

وإلى الذين اصطفاهم الحقُّ من عباده ورثةً لكتابه، أقول لهم: إنَّ الحقّ جلَّ وعلا، قد جعل الإخلاص شرطاً لقبول الأعمال جميعها، في العبادة وغيرها أيضاً، كما هو الحال في التقوىٰ.

ففي العبادة قال عزّ ذكره: **﴿فاعْبُدِ اللَّهَ مُخلِصاً له الدِّين. أَلا لله الدِّينُ الخالِصُ﴾** [الزّمر:٢ - ٣]. وقال تعالى: **﴿قُلْ إنّي أُمِرْتُ أنْ أعبُدَ اللَّهَ مخلِصاً له الدِّينَ﴾** [الزّمر: ١١]. وقال سبحانه: **﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مخلِصاً له ديني﴾** [الزّمر: ١٤].

وفي الدّعاء جعله الحقّ عزَّ ذكره شرطاً لقبوله، فقال سبحانه: **﴿فادعوا الله مُخلِصينَ له الدِّين﴾** [غافر: ١٤].

وفي القول جعله الرسول ﷺ شرطاً لدخول الجنة، للنّاطقين بكلمة التوحيد، فقال ﷺ: «مَنْ قالَ لا إله إلا الله مخلصاً بها قلبُه دخل الجنّة».

وإذا كان الإخلاص شرطاً لقبول كلّ فعل أو قول يصدر من المؤمن، فهو أيضاً الدّعامة الأولى لحفظ كتاب الله العزيز وتدبّر آياته وفَهْم معانيه. فإذا توفّر الإخلاص، فاعلمْ أنّك تظفر بأنْ تكون

من وَرَثة الكتاب الذين يتولّى جزاءَهم العزيز الوهّاب في جنّة الخُلْد والبقاء فهو القائل: ﴿لِيُوَفِّيهِمْ أُجورَهم ويَزيْدَهُمْ مِنْ فَضْله إنّه غَفُورٌ شَكُور﴾ [فاطر: ٣٠].

والإخلاص حقيقة يتحلّى بها الأبرار. ومما يسعد به كل مخلص أنَّ الحق عزّ ثناؤه جعله شرطاً للنجاة عند اشتداد الكروب في ما حكاه القرآن عن الصِّدّيق يوسف عليه السلام: ﴿كذلكَ لِنَصْرِفَ عنه السُّوءَ والفَحْشاءَ إنّه من عِبادنا المُخْلَصين﴾ [يوسف: ٢٤].

والإخلاص ينبع من سلامة القصد، وصدق النيّة. ومنبع الإثنين معاً سلامة القلب.

تعريف الإخلاص: هو أنْ تتقدّم بالأعمال خالصةً لوجه الله الكريم، خاليةً من السّمعة والرِّياء، تبتغي بها مَرْضاتِه، والفوز بنعيم جنّاته، وما أعدّ للمخلصين من عظيم الجزاء، ومِنَح العطاء الرباني الذي ما بعده من عطاء.

وآعلمْ أنَّ الحقّ جلَّ وعلا، غنيٌّ عنك وعن كلّ عمل تتقدّم به تجعل له فيه شريكاً أو تبتغي به السُّمعة والرِّياء لحديث رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربِّ العزّة سبحانه، قال تعالى: «**أنا أغنى الشُّرَكاء عن الشِّرك. من عمل عملاً أَشْرَكَ معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه**». إذن، من حفظ القرآن رياءً وسُمعةً، فلا أجرَ ولا ثواب. وآحذرْ أنْ تقرأ القرآن تريد به الدّنيا أو تطلب به الأجر الدنيوي فتكون من الآثمين.

وآحرصْ أنْ تكون من المخلصين لله عزّ وجلّ، في خدمة

كتابه، وبيان ما جاء فيه من أحكام وشرائع وعلوم سابقة على كل اختراع وابتكار من صنع البشر، مصداقاً لقول ربّ البشر، ربّ القدر، ربّ العالمين: ﴿ما فرَّطْنا في الكتابِ من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨]. وحسب صاحب القرآن قول الرسول الكريم (ﷺ): «من أراد أنْ يكلِّم الله فليصلي، ومن أراد أنْ يكلِّمه الله فليقرأ القرآن».

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: «ما مِنْ رجل يعلِّم ولدَه القرآن إلا تُوِّج يوم القيامة بتاجٍ في الجنّة».

وأخرج أبو داوود وأحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس: «من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والدَه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظَنّكم بالذي عمل بهذا؟».

## القرآن: أحبّ شيء إلى الله:

أخرج الدارمي من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «القرآن أحبُّ إلى الله من السّموات والأرض ومن فيهنّ».

## أهل القرآن أهل الله:

أخرج النّسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس، قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته**».

## حَمَلةُ القرآن عُرفاء أهل الجنّة:

أخرج الطبراني من حديث أنس: «**حَمَلة القرآن عُرفاء أهل الجنة**».

**من قرأ القرآن كُتب مع الصِّدِّيقين:**

أخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس: «**من قرأ القرآن في سبيل الله كُتب مع الصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً**».

**قارىء القرآن يستدرج النبوّة بين جنبيه:**

أخرج الحاكم وغيره من حديث عبدالله بن عمرو: «**من قرأ القرآن فقد استدرج النبوّة بين جنبيه، غير أنّه لا يُوحَىٰ إليه**».

**القرآن، وكثرة خير البيت الذي يُقرأ فيه:**

أخرج البزّار، من حديث أنس: «**أنَّ البيت الذي يُقرَأُ فيه القرآن يكثر خيرُه. والبيت الذي لا يُقرَأ فيه القرآن يقلّ خيرُه**».

**القرآن؛ غِنىً لا فقرَ بعده:**

أخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة: «**القرآن غنىً لا فقر بعده، ولا غنى دونه**».

**القرآن؛ شافِعٌ مُشَفَّع:**

أخرج أبو عبيدة عن أنس مرفوعاً: «**القرآن شافعٌ مشفَّع، ماجدٌ مصدَّق، من جعله أمامَه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار**».

**قارىء القرآن؛ يحرِّم الله لحمَه ودمَه على النّار:**

أخرج الطبراني في الصغير من حديث أنس: «**من قرأ القرآن**

يقوم به آناءَ الليل والنهار يحلُّ حلالَه ويحرِّم حرامَه، حرَّم الله لحمَه ودمَه على النّار، وجعله مع السَّفَرَة الكرام البَرَرَة، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجّةً له».

القرآن، خير الحديث:

أخرج مسلم من حديث جابر بن عبدالله: «خير الحديث كتاب الله».

قارىء القرآن يشفع في عشرة من أهل بيته:

أخرج الترمذي وغيره من حديث علي: «من قرأ القرآن .استظهره فأحلّ حلالَه وحرَّم حرامَه أدخله الله الجنّة وشفَّعه في .شرة من أهل بيته، كلّهم قد وجبت لهم النّار».

المسلم، وتعلُّم آية من القرآن:

أخرج الطبراني من حديث أبي أُمامة: «من تعلّم آيةً من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه».

جامِعُ القرآن له عند الله دعوة مستجابة:

أخرج الطبراني في الأوسط، من حديث جابر: «من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة إنْ شاء عجّلها له في الدنيا، وإنْ شاء ادَّخرها له في الآخرة».

تعلُّم آيةٍ من كتاب الله خيرٌ من صلاة مائة ركعة:

أخرج ابن ماجه من حديث أبي ذر: «لأَنْ تغدو فتعلِّم آيةً من

كتاب الله خيرٌ لك من أنْ تصلّي مائة ركعة».

## تَعلُّم كتاب الله، وقايةٌ من الضّلالة وسوء الحساب:

أخرج الطبراني من حديث عباس: «مَنْ تعلَّم كتاب الله ثمّ اتّبع ما فيه، هداه الله به من الضّلالة، ووقاه يوم القيامة سوءَ الحساب».

## حَمَلَةُ القرآن في ظلّ الرّحمٰن:

أخرج الديلمي من حديث علي: «حَمَلَةُ القرآن في ظلّ الله يوم ظلّ إلاّ ظلُّه».

## القرآن ودرجة تَفَاضُل الخَلْق:

أخرج الشيخان، من حديث عثمان: «خيركم (وفي لفظ: إنَّ أفضلكم) مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه».

وزاد البيهقي في الأسماء:
«وفضْلُ القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه».

## القرآن حَبْلُ الله المتين:

أخرج ابن أبي شيبة من حديث أبي شريح الخزاعي: «أنَّ هذا القرآن سَبَبٌ [حَبْلٌ]، طَرَفُه بيد الله، وطَرَفُه بأيديكم، فتمسّكوا به فإنّكم لن تضلّوا ولن تهلكوا بعده أبداً».

## صاحب القرآن:

أخرج الحاكم من حديث أبي هريرة: «يجيء صاحبُ

القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا ربِّ حَلِّه، فيُلْبَس تاجَ الكرامة. ثم يقول: يا ربِّ زِدْه، يا ربِّ ارضَ عنه... فيرضى عنه. ويقال له إقْرأْ وارْقَ، فإنَّ منزلتك عند آخر آية قرأتَها».

**القرآن؛ خير ما يُرْجَعُ به إلى الله:**

أخرج الحاكم من حديث أبي ذر: «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه» يعني القرآن.

* * *

عرفنا مما سبق أنَّ سلاح المؤمن لطلب العلم وغيره: أن يجدّ في اثنتين:

١ ـ التقوى: فإنها مفتاح الكشف عن حجب العلوم لقوله عز شأنه: ﴿**واتقوا الله ويعلّمكم الله**﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وهي أيضاً باب القبول لجميع الأقوال والأفعال لقوله عزّ ثناؤه: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ [المائدة: ٢٧].

٢ ـ الإخلاص: فهو سرّ الوصول، وسفينة النّجاة عند اشتداد الكروب: ﴿**فاعْبُدِ اللَّهَ مخلصاً له الدِّين. ألا للّه الدينُ الخالص**﴾ [الزّمر: ٢]. فهاتان الفضيلتان هما سرّ السعادة في الحياة وبعد الممات...

فيلزم مُريدَ القرآن التزوُّدُ بهما، فإنَّ التقوى هي خير الزّاد، والإخلاص فيه الخلاص يوم الميعاد.

# الخطوة الأولى على طريق الحفظ

**١ ـ صِحّة النُّطْق.**

**٢ ـ المداومة على القراءة:**

أول خطوة على طريق حفظ القرآن العظيم بعد التقوى والإخلاص، هي صحّة نُطْق الكلمات القرآنية. ولا يتحقق ذلك إلا بالتلقّي من معلِّم مُتقِنٍ مُجيدٍ للقرآن تلاوةً وفهماً. لأنَّ القرآءة مع التدبُّر وفَهْم المعاني تعين على الحفظ، وتساعد على التثبّت. والقرآن لا يؤخَذ إلا بالتلقّي. فقد أخذه الرسول (ﷺ)، وهو أفصح الخلق لساناً، من الأمين جبريل عليه السلام مُشَافَهَةً. وكان الرسول (ﷺ) يعرض القرآن على جبريل مرّةً كلّ عام في رمضان، أمّا في العام الذي توفي فيه فعرضه مرتين.

وهذه هي الطريقة المُثلى لتلقي القرآن؛ بأنْ يتلقى المتعلِّمُ من المعلِّم القرآنَ مُشَافَهَةً، فيصل بذلك إلى كيفيّة صحّة النّطق. ثم يعود المتعلّم فيلقي ما سَمِع وحَفِظ على المعلّم وهكذا.

وهناك الحفظ السَّماعي؛ عن طريق إذاعة القرآن الكريم، وأشرطة القرآن المسجّلة لخيرة القرّاء الذين حباهم الله تعالىٰ بنعمة

البيان واصطفاهم أهلاً للقرآن، ويسَّر عليهم حفظَه، ونطقَه، وفهمَه، مصداقاً لقوله عزّ شأنه: ﴿**ولقد يسَّرنا القرآن للذِّكر فهل من مُدَّكر**﴾ [القمر: ١٧].

وطريقة التلقّي من المعلِّم هي الأفضل لأنها طريقة الوحي التي أخذ بها رسول الله (ﷺ) عن الأمين جبريل عليه السلام، وصدق الحق إذ يقول: ﴿**إنْ هو إلاّ وحْيٌ يُوحىٰ. علَّمه شديدُ القوىٰ**﴾ [النجم: ٤ - ٥].

ومما يساعد على الحفظ، المداومة على القراءة، بمعنى: أنْ يقوم المتعلم بجمع ما تلقّاه وحفظه من المعلّم، ويكرره على نفسه، فيجعله بمثابة وِرْدِهِ اليومي، مع عمل ربطٍ بين ما حفظ في الحاضر والماضي، مع العمل على الربط بين الآيات في كل سورة على حدة. إذْ أنَّ الحفظ يمكن أنْ يتم لمن أجاد صحّة النطق بالتلقي عن معلم، يمكنه الحفظ بالنظر إلى آيات المصحف فإنَّ العين تنقل والقلب يسجِّل. ويتبيّن هذا لكل حافظ عندما يكون بعيداً عن المصحف فإنه يرى ببصره وبصيرة قلبه مباني الآيات والكلمات هل هي يميناً أم يساراً بالنسبة لصفحات المصحف: في السطر الأول أم الثاني. وهكذا، فإنها طريقة راسخة في الحفظ لأولي البصر والبصيرة.

ويمكن لمريد القرآن الحفظ بطريقة تسمى الحَصْر: أي ثلاث آيات يبدأ بها من أوّل السورة فإذا ما تثبّت من حفظها سمَّعها على نفسه، ثم يزيد عليها ثلاث آيات أخرى. ثم يعاود تسميع الستّ آيات مجتمعةً على نفسه، وهكذا حتى نهاية السورة. وفي السور ذوات الآيات الطوال، يجب أنْ يحفظ آيةً واحدةً، تليها آية

أخرى، وهكذا حتى نهاية السورة، مع الربط بين بدايات ونهايات السُّور. ثم يجعل لنفسه معاودةً أسبوعيةً لما حفظ من أوّل الأسبوع ثم معاودةً شهرية، فإنه أَدْعىٰ لتثبيت الحفظ وعدم هجر القرآن، لأنَّ الهجر يسبِّب النسيان؛ والنسيان من الشيطان، ينشأ من الغفلة. وقد جاء علاج النسيان في القرآن على لسان خير الخلق وحبيب الحق محمد (ﷺ) حينما أمره ربُّه بالإسراع إلى صيدلية قَيُّوم السموات والأرض ويغترف منها الدواء الشافي والعلاج الكافي قهراً للشيطان، ووقايةً من النسيان، آمراً إيّاه، والأمّةُ تقتدي برسولها؛ بقوله عزّ ذكره: ﴿أولئك الذين هدىٰ الله فبِهُداهُمُ اقْتَدِه﴾ [الأنعام: ٩٠]

فالإستعانة بالذّكر تفتح أبواب الفكر الناضج الذي يعود بثمار الخير على أمّة لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ) التي قال الحقّ تعالى عنها: ﴿كنتم خير أمّةٍ أُخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠]. وإنما نالت أمّة القرآن هذه المرتبة العالية أنها خير أمة أخرجت للناس، لثلاث صفات، هي:

١ ـ الأمر بالمعروف.
٢ ـ والنهي عن المنكر.
٣ ـ الإيمان بالله عزَّ شأنه:

﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠]. فبهذه الثلاث رفع الله قَدْر الأمة وجعلها خير أمّة.

**ثانياً: قياس نسبة الحفظ:**

ويكون ذلك باستحضار الذاكرة وكثرة التكرار لما حُفظ،

والعمل على تجميع الكلمات ثم الآيات ثم السور، بدايةً ونهايةً لما أُنجز من حفظ، ومراعاة الرسم العثماني. واعلمْ أنَّ حافظ القرآن لا يكاد يتركه قليلاً إلا سارع القرآن بالهروب منه وينساه سريعاً. وقد ضرب الرسول (ﷺ) مثلاً لذلك: «إنما مَثَلُ صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المُعْقَلة: إنْ عاهد عليها أمسكها، وإنْ أطلقها ذهبت».

# كيف تقرأ المصحف الشريف

لكتابة المصحف وضبطه وشَكْله اصطلاحاتٌ وقواعد لا يعرفها كثير من المسلمين، ولذلك لا يستطيعون القراءة في المصحف قراءةً صحيحة.

وإن كانت القراءة لا بدّ فيها من التلقّي على بعض المتخصّصين، إلا أنّ هذه القواعد، التي سأقدّمها لك أيها الطالب، تعينك على القراءة السليمة، وهذه هي القواعد:

١ ـ وضع الصِّفْر المستدير ( ٱ ) فوق حرف علّةٍ يدلّ على زيادة ذلك الحرف فلا يُنطَق به في الوصل ولا في الوقف نحو: قالوا، يتلوا صحفاً، لأذبحنّه، وثموداً فما أبقى، إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً، أولئك.

ووضع الصفر المستطيل القائم ( ٱ ) فوق ألف بعدها متحرّك يدلّ على زيادتها وصْلاً لا وقْفاً. نحو: أنا خير منه، لكنّا هو الله ربي، وتظنون بالله الظنونا هنالك، كانت قواريراً قواريراً من فضة. وأهملت الألف التي بعدها ساكن، نحو: أنا النذير من وضع الصفر المستطيل فوقها وإن كان حكمها مثل التي بعدها

متحرّك في أنها تسقط وصلاً وتثبت وقفاً لعدم توهم ثبوتها وصلاً.

٢ ـ وضع رأس خاءٍ صغيرة (بدون نقطة) (قدْ) فوق أي حرف يدلّ على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مُظْهَرٌ بحيث يقرعه اللسان نحو: من خير وينئون عنه بعبده قد سمع فقد ضلّ.

٣ ـ تعرية الحرف من علامة السّكون مع تشديد الحرف التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغاماً كاملاً نحو: أجيبت دعوتكما [أجيبدّعوتكما]، يلهث ذلك [يلهذّلك]، وقالت طائفة [وقالطّائفة].

وتعريته مع عدم تشديد التالي يدل على إخفاء الأول عند الثاني فلا هو مُظْهَرٌ حتى يقرعه اللسان ولا هو مُدْغَمٌ حتى يقلب من جنس تاليه نحو: من تحتها، من ثمرة، إن ربّهم بهم، أو أدغم فيه إدغاماً ناقصاً نحو: من يقول، من وال، فرطتم، بسط.

٤ ـ ووضع ميم صغيرة (عَلِيمٌ) بدل الحركة الثانية من النون أو فوق النون الساكنة بدل السكون مع عدم تشديد الباء التالية يدلّ على قلب التنوين أو النون ميماً نحو: عليم بذات [عليمُمْبذات] الصدور، جزاءً بما كانوا [جزاءَمبما]، كرام بررة [كرامِمْبَرَرة]، من بعد [ممبعد]، منبثّا وتركيب الحركتين (ضمتين أو فتحتين أو كسرتين) هكذا (سَمِيعٌ) يدلّ على إظهار التنوين ـ نحو: سميع عليم، ولا شراباً إلا، ولكل قومٍ هاد.

وتتابعهما هكذا مع تشديد التالي يدل على إدغامه، نحو: خُشُبٌ مُسَنَّدَة [خُشُبُمُّسَنَّدة]، غفوراً رحيماً [غفورَرَّحيما]، وجوهٌ يومئذٍ [وجُوهُيَّوْمئذٍ] ناعمة.

وتتابعهما مع عدم التشديد يدلّ على الإخفاء، نحو: شهابٌ ثاقب، سراعاً ذلك، بأيدي سَفَرة كرام. أو الإدغام الناقص نحو: وجوهٌ يومئذ، رحيم ودود. فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف، وتتابعهما بمنزلة تعريته عنه.

٥ ـ الحروف الصغيرة تدلّ على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العثمانية مع وجود النطق بها، نحو: ذلك الكتب، داود، يحيي ويميت، أنت وليي في الدنيا، إن وليي الله، إلى الحواريين، إيلٰفِهِم رحلة الشتاء، وكذلك ننجي المؤمنين.

وكان علماء الضّبط يُلحقون هذه الأحرف حمراء بقدر حروف الكتابة الأصلية، ولكن تعسّر ذلك في المطابع فاكتُفي بتصغيرها في الدلالة على المقصود، وإذا كان الحرف المتروك له بدلٌ في الكتابة الأصلية عُوِّل في النطق على الحرف الملحق لا على البدل نحو: الصلواة، كمشكوة، البوا، والله يقبض ويبصط في الخلق بصطة، فإن وضعت السين تحت الصاد دلَّ على النطق بالصاد أشهر، نحو: المصيطرون.

٦ ـ وضع هذه العلامة (–) فوق الحرف يدلّ على لزوم مدِّه مدّاً زائداً على المدّ الأصلي الطبيعي، نحو: آلم، الطآمّة، قرؤ، سيء بهم، شفعؤا، تأويله، إلا الله، لا يستحي أن يضرب. والدائرة المحلّاة التي في جوفها رقم (﴿٧﴾) تدل بهيئتها على انتهاء الآية وبرقمها على عدد تلك الآية في السورة نحو: إنا أعطيناك الكوثر[١] فصلِّ لربك وانحر[٢] إنَّ شانئك هو الأبتر[٣]، ولا يجوز وضعها قبل الآية البتّة فلذلك لا توجد في أوائل السور وتوجد دائماً في أواخرها.

٧ ـ وتدل هذه العلامة ( ❋ ) على ابتداء ربع الحزب. وإذا كان أول الربع أول سورة فلا توضع.

ووضع خط أفقي (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ) فوق كلمة يدلّ على موجب السجدة ووضع هذه العلامة (۞) بعد كلمة يدل على موضع السجدة. نحو: ﴿ولله يسجدُ ما في السّموات وما في الأرض من دابّة، والملائكةُ وهم لا يستكبرون. يخافون ربهم من فوقهم، ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٤٩].

٨ ـ وضع النقطة الخالية الوسط المعيَّنة الشكل ( ◇ ) تحت الراء في قوله تعالى: ﴿بسم الله مجريٰها﴾ يدل على إمالة الفتحة إلى الكسرة وإمالة الألف إلى الياء وكان النُّقاطُ يضعونها دائرةً فلما تعسّر ذلك في المطابع عُدِل إلى الشكل المعين.

٩ ـ وضع النقطة المذكورة (مَجْرِيهَا) فوق آخر الميم قبيل النون المشدّدة من قوله تعالى: مالك لا تأمنا [تَأْمَنّا] على يوسف يدل على الإشمام، وهو ضمّ الشفتين كمن يريد النطق بضمّةٍ إشارةً إلى أنّ الحركة المحذوفة ضمّة من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق.

وضع نقطة مدوّرة مسدودة الوسط (ءَأَعْجَمِيٌّ) فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى: «أأعجميٌ وعربيٌ) بسورة فُصِّلت يدل على تسهيلها بين الهمزة والألف.

# علامات الوقف التي في المصحف

تستعمل في المصحف علامات تدلّ على الوقف على الكلمة التي توضع فوقها.

وهذه العلامات هي: «م ـ قلى ـ صلى ـ ج ـ لا».

وتفسير هذه الرموز كما يلي:

(م) علامة على الوقف اللازم، أي يلزم القارىء أن يقف على هذه الكلمة لأنّ وصلها بما بعدها يغيّر المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فلا يَحْزُنْكَ قولُهم إنَّا نعلم ما يُسِرّون وما يُعلِنون﴾ [يس: ٧٦] في سورة يَس، فيلزم الوقف على قوله تعالى: ﴿قولهم﴾ ويبتدىء القارىء بقوله تعالى: ﴿إنّا نعلم ما يُسِّرون وما يعلنون﴾ فإنّ ما حكاه القرآن على لسان المشركين انتهى عند قوله تعالى: ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ فكأنّ هناك شيئاً مقدّراً ينطوي تحت قوله تعالى: ﴿قولهم﴾ أي قولهم لك يا محمد: إنك شاعر أو ساحر، أو كاهن، أو أنّ هذا القرآن أساطير الأولين، أو غير ذلك كما حكاه القرآن عنهم في آيات أُخَر فردّ الله عزّ وجلّ عليهم بقوله: ﴿إنَّا نعلم ما يُسرّون وما يعلنون﴾ أي فلا تحزن.

(قلى) وهي علامة على الوقف الجائز، أي يجوز الوقف والوصل، لكنّ الوقف أَوْلى من الوصل كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ ربّي أعلمُ بعدَّتهم ما يعلمُهم إلاّ قليل﴾ في سورة الكهف فالوقف على «قليل» جائز مع أنّ الوقف أَوْلىٰ من الوصل.

فكلمة (قلى) كلمة منحوتة ومأخوذة من قولهم: الوقف أَوْلى.

(صلى) وهي علامة على الوقف الجائز، لكنّ الوصل أولى كما في قوله تعالى: ﴿وإن يَمْسَسْك الله بضُرٍّ فلا كاشِفَ له إلا هو وإنْ يَمْسَسْك بخيرٍ فهو على كلّ شيءٍ قدير﴾ في سورة الأنعام.

فالوقف على ﴿هو﴾ جائز. لكن وصله بما بعده أَوْلى من الوقف عليه.

فكلمة (صلى) مأخوذة من قولهم «الوصل أولى».

(ج) علامة على الوقف الجائز، مستوي الطرفين، أي أن الوقف والوصل في درجة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿نحن نقصُّ عليكَ نبأَهم بالحقّ إنّهم فتيةٌ آمنوا بربّهم وزدناهم هُدىً﴾ في سورة الكهف.

فالوقف على قوله ﴿بالحق﴾ جائز بدون ترجيح أحد الوجهين على الآخر.

(فِيهِ) علامة على تعانق الوقف، بمعنى أنه إذا وقف القارىء على أحد الكلمتين لا يصح الوقف على الكلمة التي بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿ذلك الكتابُ لا ريْبَ فيه هُدىً للمتقين﴾ في أول سورة البقرة فإن على كلٍّ من قوله تعالى:

﴿ريب فيه﴾ ثلاث نقط، فإذا وقف القارىء على الكلمة الأولى ابتدأ بقوله تعالى: ﴿فيه هُدىً للمتقين﴾ وإذا وقف على الثانية ابتدأ بقوله تعالى: ﴿هُدىً للمتقين﴾ فيكون هدى «خبراً لمبتدأ محذوف أي هو هدى﴾.

(لا) وهي علامة الوقف الممنوع كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لقد سَمِعَ الله قولَ الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء﴾ [آل عمران: ١٨١]. فالوقف على قوله تعالى: ﴿فقير﴾ قبيح وممنوع، كما سبق أن بيَّنّا. والله أعلم.

# معنى الوقف وأقسامه

تقدَّمَ ذكرُ علامات الوقف التي في المصحف، فإليك معنى الوقف وأقسامه حتى تكون على بيِّنة كاملة من هذا الموضوع.

**معنى الوقف:**

الوقف عبارة عن قَطْعِ الصوت على آخر الكلمة زمناً يُتَنفَّسُ فيه بنيّة استئناف القراءة مرةً أخرى.

**وأقسامه ستة:**

١ ـ **وقفٌ لازمٌ:** وهو ما إذا وُصِل أفهمَ معنىً غير المراد، وعلامته في المصحف «م» ويعبَّر عنه بالتّام، وهو ما لا يتعلق ما بعده بما قبله لا لفظاً ولا معنى. مثل: ﴿**إنما يستجيبُ الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله**﴾ [الأنعام: ٣٦].

فالوقف على ﴿**يسمعون**﴾ وقف لازم.

ومثل الوقف على قوله تعالى: ﴿**لقد كَفَر الذين قالوا إن الله ثالِثُ ثلاثةٍ وما مِنْ إلهٍ إلاّ إلٰهٌ واحِد**﴾ [المائدة: ٧٣]، فالوقف على قوله

﴿ثلاثة﴾ لازمٌ حتى نفصل بين ما هو من كلام النّصارىٰ في التثليث وبين ما هو ردٌّ عليهم.

٢ ـ **وقفٌ كافٍ**: وهو ما إذا جاز الوقف والوصل لكن الوقف أَوْلى، ويعبَّر عنه في المصحف بكلمة (قلى)، وهو ما يتعلق ما بعده بما قبله معنىً لا لفظاً، مثل ﴿**قلْ ربّي أعلمُ بعدَّتهم ما يعلمُهم إلاّ قليل فلا تُمَارِ فيهم**﴾ [الكهف:٢٢].

٣ ـ **وقفٌ جائز**: ويُعبَّر عنه في المصحف بعلامة «ج» وهو ما استوى فيه الأمران: الوصل والوقف، مثل: ﴿**نحن نقصُّ عليك نبأَهم بالحقّ إنهم فتيةٌ آمنوا بربهم**﴾ [الكهف:١٣].

٤ ـ **وقفٌ حسن**: وهو ما يتعلق بما قبله لفظاً ومعنى وعلامته «صلى» ووصله أَوْلى من الوقف عليه، مثل: ﴿**وإنْ يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فلا كاشِفَ له إلا هو وإنْ يَمْسَسْكَ بخيرٍ فهو على كلّ شيءٍ قدير**﴾ [الأنعام:١٧].

٥ ـ **وقف المراقبة**: وعلامته ثلاث نقط أعلى كلمتين متواليتين مثل: ﴿**لا ريب فيه**﴾ [البقرة:٢]. ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا**﴾ [البقرة:١٩٥].

فإذا وقف القارىء على الأوّل وصَلَ الثاني، وإذا وصَلَ الأوّلَ وقف على الثاني.

٦ ـ **وقفٌ قبيح**: وهو ما ليس له معنى كالوقف على الحمد من «الحمد لله»، أو ما يغيّر المعنى كالوقف على فقير من قوله تعالى: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء**﴾

[آل عمران: ١٨١] ثم يبتدىء فيقول: ﴿**ونحن أغنياء**﴾ بل لا بدّ من الوصل حتى لا يوهم خلافَ المراد، وهو إثبات هذه الدعوى الكاذبة من بعض اليهود الذين نسبوا إلى الله تعالى الفقر، والتي كان سبب نزولها أن الرسول (ﷺ) أرسل إلى يهود بني قينقاع يدعوهم للإسلام وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فقال بعضهم: إنّ الله فقيرٌ حتى سأل القرضَ، فنزلت هذه الآية الكريمة.

# مراتب القراءة

مراتب القراءة أربعة:

١ ـ التحقيق، ٢ ـ الحدر،

٣ ـ التدوير، ٤ ـ الترتيل.

**التحقيق:**

هو مصدر من حقَّقْتُ الشيءَ تحقيقاً إذا بلغت يقينَه، ومعناه المبالغة في الإتيان بالشيء على حقّه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه، فهو بلوغ حقيقة الشيء والوقوف على كنهه والوصول إلى نهاية شأنه. وهو عندهم عبارة عن إعطاء كل حرف حقَّه من إشباع المدّ وتحقيق الهَمْز وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات ونونيّة الغُنّات وتفكيك الحروف؛ وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسَّكت والترسُّل واليُسْر والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف ولا يكون غالباً معه قَصْرٌ ولا اختلاسٌ، ولا إسكانٌ محرّك ولا إدغامه. فالتحقيق يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ وإقامة القراءة بغاية الترتيل، وهو الذي يُستحسَن ويُستحَبّ الأخذ به على المتعلّمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حدّ الإفراط من تحريك

السواكن وتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات.

**الحَدْر:**

أمّا الحَدْر، فهو مصدر من حَدَر (بالفتح) يحدُرُ (بالضم) إذا أسرع فهو من الحَدْر الذي هو الهبوط، لأن الإسراع من لازمه بخلاف الصعود فهو عندهم عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز ونحو ذلك مما صحّت به الرواية ووردت به القراءة مع إيثار الوصل وإقامة الإعراب ومراعاة تقويم اللفظ وتمكن الحروف وهو عندهم ضد التحقيق، فالحدر يكون لتكثير الحسنات في القراءة وحوز فضيلة التلاوة.

**التدوير:**

أما التدوير: فهو عبارة عن التوسّط بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن روى مدّ المنفصل ولم يبلغ فيه إلى الإشباع وهو مذهب سائر القرّاء وصحّ عن جميع الأئمة وهو المختار عند أكثر أهل الأداء.

**الترتيل:**

أما الترتيل، فهو مصدر من رتَّلَ فلانٌ كلامَه إذا أَتْبَعَ بعضَه بعضاً على مُكْثٍ وتفهّم من غير عجلة وهو الذي نزل به القرآن.

قال الله تعالى: ﴿ورتَّلناه ترتيلاً﴾. روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن الله يحب أن يُقَرَأ

القرآنُ كما أُنزل» أخرجه ابن خزيمة في صحيحه.

وقد أمر الله تعالى به نبيه (ﷺ) فقال تعالى: ﴿ورتِّلِ القرآن ترتيلاً﴾، قال ابن عباس: بَيِّنْهُ. وقال مجاهد: تأنَّ فيه، وقال الضحّاك: انْبُذْه حرفاً حرفاً. يقول تعالى: تلبّث في قراءته وتمهّل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده.

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكّده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً له ليكون ذلك عوناً على تدبّر القرآن وتفهمه.

وهكذا كان صلى الله عليه وسلّم يقرأ.

فعن يعلى بن مالك «أنه سأل أمّ سلمة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله (ﷺ) فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً»، رواه الترمذي في جامعه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قام بآية يردِّدها حتى أصبح ﴿إن تعذِّبْهم فإنّهم عبادك﴾ [المائدة: ١١٨].

وفي صحيح البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن قراءة رسول الله (ﷺ) فقال: كانت مدّاً ثم قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يمدّ الله ويمدّ الرحمن ويمدّ الرحيم.

فالتحقيق داخل في الترتيل.

## أيُّ هذه الأقسام أفضل؟

اختلف العلماء في الأفضل من هذه الأقسام هل هو الترتيل وقلّة القراءة أو السرعة مع كثرة القراءة؟ فذهب بعضهم إلى أن

كثرة القراءة أفضل واحتجوا بحديث ابن مسعود، قال رسول الله (ﷺ): «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة. والحسنة بعشر أمثالها. الحديث» رواه الترمذي وصحّحه. ورواه غيره: بكل حرف عشر حسنات، وذكروا آثاراً عن كثير من السلف في كثرة القراءة. والصحيح، بل الصواب، ما عليه معظم السلف والخلف وهو أن الترتيل والتدبّر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها لأن المقصود من القرآن فَهْمه والتفقّه فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه.

وقد جاء ذلك منصوصاً عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم. وسئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة والآخر البقرة وآل عمران في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد. فقال: الذي قرأ البقرة وحدها افضل. ولذلك كان كثير من السلف يردّد الآية الواحدة إلى الصباح كما فعل النبي (ﷺ). وقال بعضهم: نزل القرآن ليُعمَل به فاتخذوا تلاوته عملاً.

وأحسنَ بعض أئمتنا فقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبّر أجلُّ وأرفع قدراً وإن ثواب كثرة القراءة أكثر عدداً. فالأول كمن تصدّق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبداً قيمته نفيسة جداً، والثاني كمن تصدّق بعدد كثير من الدراهم أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: واعلم أن الترتيب مستحبّ لا لمجرد التدبّر فإن العجميّ الذي لا يفهم معنى القرآن يُستَحبّ له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال،

وفـرّق بعضهم بين الترتيـل والتحقيق بأن التحقيق يكـون للريـاضـة والتعليم والتمرين والترتيل يكون للتـدبّر والتفكّـر والاستنباط. فكـلّ تحقيق تـرتيلٌ وليس كـلّ ترتيـل تحقيقاً. وجـاء عن علي رضي الله عنـه أنه سئـل عن قولـه تعالى: ﴿**ورتّـل القرآن تـرتيلاً**﴾، فقـال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

# وجوب اتّباع رسم المصحف العثماني

رسم القرآن الكريم المعروف بالرسم العثماني، الذي كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه، سُنَّةٌ متبّعة باتفاق الأئمّة الأربعة وإن خفي ذلك على بعض الناس في البلاد المشرقية لعدم اعتنائهم غالباً بتدريس علوم رسم القرآن حتى وقع التساهل في طبع المصاحف هناك على الرسم الإملائي، وهي مخالفة في كثير لرسم المصحف العثماني الذي يجب اتباعه إجماعاً لكونه أمراً توقيفياً، إذ أنه كُتب كلّه في عهد النبي (ﷺ) لكنّه كان غير مجموع في مصحف واحد مرتّب. إذْ كان القرآن ينزل على النبي (ﷺ) حسب الوقائع والحوادث التي تقع في عهد التشريع فتنزل الآيات مبيِّنةً حكم الله تعالى فيها، وكان لرسول الله (ﷺ) كُتّاب يسجّلون ما يبلّغهم به النبي (ﷺ) أوّلاً بأوّل، ويرشدهم على موضع المكتوب من سورته فيقول لهم ضُمّوا هذه السورة بجانب تلك السورة، وضعوا هذه الآية في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، وكانوا يكتبونه في العسب، وهو جريد النخل واللخاف؛ وهي الحجارة الرقاق. والرّقع من جلد أو رِقٍّ وقطع الجلد وعظام الأكتاف.

وكان ذلك موزعاً في بيوت الصحابة لم يجمع في مكان واحد.

وممن اشتهر بكتابة القرآن في عهد النبي (ﷺ) أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وغيرهم من عظماء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

# لم يُجمع القرآن في مصحف واحد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

قال السيوطي في ذلك: إنما لم يجمع القرآن في مصحف واحد في عهده (ﷺ) لما كان يتوقعه من نزول قرآن ناسخٍ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى بوفاته (ﷺ) ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعَه وترتيبه على الوجه الذي ستراه بعد، وذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿**إنّا نحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنّا له لَحَافِظون**﴾ [الحجر: ٩].

والاستدلال بسُنِّية كتابته وكونها توقيفيّة ثابتٌ من مجرد كَتْبه كله في عهد الرسول (ﷺ)، ولو كان إذْ ذاك غير مجموع ومرتّب في مجلّد واحد مسمّى بالمصحف كما هو عليه الحال الآن.

وقد سئل مالك رضي الله عنه عمّن استُكْتِبَ مصحفاً هل يكتبه على ما أحدثه الناس من الرسم الإملائي فقال: لا أرى ذلك بل على الكَتْبة الأولى، يعني الحالة التي كتب عليها القرآن بين يدي رسول الله (ﷺ).

والخلاصة أن القرآن كلّه كان مكتوباً في العهد النبوي ولم يكن مجموعاً في مصحف واحد ولا مرتّب السور بل كان موزعاً في

العسب والرّقاع وغيرها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان محفوظاً في صدور الصحابة ولكنهم كانوا متفاوتين في مقدار المحفوظ منه، فمنهم من كان يحفظه كله ومنهم من كان يحفظ أكثره ومنهم من كان يحفظ بعضه.

وقبل وفاته (ﷺ) عُرِض القرآن على جبريل مرتين عام وفاته. ثم قام بأمرِ الناس بعدَه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحدث في عهده ما حمله على جمع القرآن في مصحف واحد. وقد قام بهذا الجمع زيد بن ثابت: جمعه ورتّبه ووضعه عند أبي بكر. وقد راعى زيد في كتابه الصحف أن تكون مشتملة على ما ثبت قرآنيّتُه متواتراً واستقرّ في العرضة الأخيرة ولم تنسخ تلاوته وأن تكون مرتبة الآيات والسور جميعاً. وتمّ جمعه على هذا النحو ووضع في بيت أبي بكر، ثم وضع عند عمر بن الخطاب إلى أن توفي أيضاً ثم وضع عند حفصة بنت عمر بن الخطاب.

وظلّ الأمر هكذا، إلى أن تولى عثمان بن عفان الخلافة. وفي السنة الثانية أو الثالثة من الخلافة، كانت غزوة أرمينية وأذربيجان. واجتمع أهل الشام والعراق. وكان من بينهم القرّاء للقرآن فكان هذا يقرأ وذاك يسمع. ووقع الخلاف بين القرّاء في وجوه القراءة وكان كلّ منهم يتّهم الآخر بالخطأ والتحريف في كتاب الله وأنه هو على الصّواب دون غيره، فأدرك عثمان مغبّة هذا الخلاف بين المسلمين، فرأى بحصافة عقله وثاقب فكره وَأْدَ هذه الفتنة والقضاء عليها، بوضع حدّ لهذا الاختلاف بجمع القراآت ونسخه في مصاحف توزّع على أمصار الإسلام تكون مرجعاً للناس عند الاختلاف وإحراق ما عداه وبذلك تجتمع الأمة ويزول الخلاف.

## منهج عثمان في كتابة المصاحف:

اختار عثمان بن عفان للقيام بهذه المهمة أربعةً من كبار الصحابة وهم: زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام. وكانوا لا يكتبون شيئاً إلا بعد أن يُعرض على الصحابة جميعاً ويتحققوا أنه قرآنٌ واستقرّ في العرضة الأخيرة وقد كتبوا مصاحف متعددة، اختلف العلماء في عددها، وأصحّ الأقوال أنها ستة: البصري، والكوفي، والشامي، والمكي والمدني العام، والمدني الخاص، وهو الذي اختصّ به نفسه عثمان بن عفان وهو الذي يسمّى بالمصحف الإمام.

ولمّا كانت روايات القرآن وقراءاته متعددة وسبب هذا التعدد تلاوة الرسول (ﷺ) القرآن حسب نزوله عليه مطابقاً للهجات العرب المتعدّدة ونزوله عليه وهكذا تيسيراً وتسهيلاً وتحقيقاً لقوله تعالى: ﴿**ولقد يسَّرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر**﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسَّر منه»، ولما كان الحال هكذا، اشتملت المصاحف التي كتبها عثمان على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ومتضمنةً لما ثبت من القراءات المتوافرة في العرضة الأخيرة إذ أن المصاحف كانت خالية من النقط والشكل، فكانت محتملةً للأحرف السبعة.

ليس معنى هذا أن كل مصحف منها مشتمل على جميع الأحرف المذكورة بل مجموعها مشتملة على الأحرف السبعة.

## النّقط والشّكل:

لقد وقعت المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الأمصار موقع

القبـول والـرّضى في قلوب المسلمين. ونسخـوا على ضـوئهـا مصاحف متعددة وجميعها كانت خالية من النقط والشكل واستمرت هكذا حقبة من الزمان، حتى انتشرت الفتوحات الإسلاميـة واختلط اللسـان العربي بـاللسـان الأعجمي، وكـان الأعـاجم يعسـر عليهم النطق بكلمات القـرآن حيث أنها كـانت بلا نقط ولا شكـل، الأمر الذي جعل الأمراء والولاة يفكرون في وسائل تكفل صيـانة القـرآن من اللحن والتحريف.

وقـد كان المختـرع الأول لنقط الإعراب أبـو الأسود الـدؤلي، وذلك بتكليف من زياد ابن أبيـه بذلـك. وقد تـردّد أبو الأسـود في ذلك الأمر، ولكنه رجع عن هذا التردد بعد ما سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى: ﴿**إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِهِ**﴾ بسورة التـوبة بجـرِّ الـلام من رسولـه، فقال معـاذ الله أن يتبـرّأ الله من رسـولـه. فبـدأ بـإعـراب القـرآن بـوضـع نَقْطٍ يخـالف مـداد المصحف، إذ جعـل للفتحـة نقـطةً فـوق الحـرف، وللضمـة نقـطةً إلى جـانب الحـرف وللكسرة نقطةً أسفل الحرف. وجعل للنّون نقتطين متجاورتين. ثم أُدخل على هذا النوع من النقط الإعرابي تحسينـات، وتفنّنوا فيـه، وأدخلوا عليـه من التعديـل ما جعله على هـذه الصورة التي نـراهـا الآن.

وأمّـا نَقْط الإعجام الـذي يميّـز الحـروف المتمـاثلة رسمـاً من بعضها مثل: ب، ت، ث، ج، ح، خ. وهكذا، فإن أرجح الآراء في أن الواضع له نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وذلـك صيانـة للقـرآن من الخطأ الـذي تفشّى على ألسنة الكثيـرين الـداخلين في الإسـلام، فَخِيْفَ على القرآن أن تمتـدّ إليه أخـطاء المخـطئين في

النطق العربي، الأمر الذي حمل أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان أن يعمل جاهداً على إزالة هذا العبث فأمر الحجاج بن يوسف، وكان والياً على العراق، أن يزيل أسباب هذا التحريف عن القرآن. فكلف الحجّاج اثنين من علماء المسلمين من الذين لهم قَدَمٌ راسخة في فنون العربية وأسرارها بوضع علامات تميّز الحروف من بعضها، فوضعا النّقْط المسمى بنقط الإعجام وفي ذلك ضمان لسلامة القرآن من التحريف والتغيير. وكان لون هذا النقط يماثل لون المصحف ليتميز عن نقط أبي الأسود الدؤلي المغاير لرسم المصحف. وعليه فإن النقط الأول المسمّى بنقط الإعراب كان المخترع له أبو الأسود الدؤلي والنقط الثاني المسمى بنقط الإعجام كان الواضع له نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر.

وفي العصر العباسي، ظهر الخليل بن أحمد البصري فأخذ نقط أبي الأسود الدؤلي وجعل يطوّر فيه إذ جعل الضمّة واواً صغيرة تكتب فوق الحرف، والفتحة ألفاً صغيرة مبطوحة فوق الحرف، والكسرة ياءً صغيرة تكتب تحت الحرف، ثم وضع للشدّة علامة رأس الشين وللسكون علامة رأس الخاء، وعلامة للمدّ وعلامة للرَّوْم والإشمام. وقد زاد على هذه العلامات من التحسين ما جعلها على حالتها التي نراها الآن عليها.

ولقد كان لهذا العمل الجليل أحسن الأثر وأجلّه في حفظ كتاب الله تعالى وحقاً إذ يقول: ﴿**إنّا نحن نَزَّلنا الذِّكْرَ وإنّا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩].

## تقسيم المصحف وتجزئته:

على ضوء ما سبق عرفنا أنّ المصاحف كانت خالية من النَّقْط والشَّكْل ثم تمَّ نقطها وشكلها على نحو ما بيّنا. وأيضاً، فإنها كانت غير مقسّمة إلى أجزاء أو أحزاب أو أرباع، إذْ كان كُتّاب المصاحف في الصّدر الأول يضعون ثلاث نقط عند آخر كل فاصلة من فواصل الآيات إيذاناً بانقضاء الآية، كما كانوا يضعون لفظ (خمس) عند انقضاء خمس آيات ولفظ (عشر) عند انتهاء عشر آيات. وهكذا يعيدون لفظ خمس وعشر مع تكرار هذا العدد من الآيات في كل سورة حتى نهاية السورة. يؤخذ هذا من قول قتادة «بدَّلوا فنقّطوا ثم خمَّسوا ثم عشَّروا» كما كان بعضهم يضع السورة ويذكر كونها مكية أو مدنية إلى أن قامت طائفة من العلماء فقسمت القرآن ثلاثين قسماً وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء، ثم قسموا الجزء إلى حزبين، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام كل قسم منها يسمى ربعاً.

وأوّل من أمر بذلك المأمون العباسي، وقيل ان الذي فعله هو الحجاج الثقفي أخذاً من عمل الصحابة في وضع أسماء السور وباجتهاد منه في هذا التقسيم، ولذلك نجد ابتداء الربع في وسط قصة مثلاً، ومن هنا نستطيع أن نحكم بأن اتباع هذا التقسيم ليس بلازم، ولا حرج في مخالفته، بل للقارىء أن يختم قراءته عند تمام الكلام، سواء كان في آخر قصة وآخر سورة، ولا يلزم بنهاية الربع وبدايته، فكثيراً ما يكون لبعض الجمل تعلّق بآخر الربع السابق كما في قوله تعالى: ﴿**والمُحْصَنَات من النّساء**﴾ فإنها متعلقة بآية المُحْرِمات من النساء، فلو وقفنا على آخر الربع لأدّى

ذلك إلى عدم تمام الكلام، ومثل ذلك كثير. ويبدو أنّ هذا التقسيم إنما كان لهدف تسهيل الحفظ على قارىء القرآن الكريم، خاصة في السور الطوال والله أعلم[1].

**نتيجة هذا التقسيم:**

وكانت نتيجة هذا التقسيم أن أصبح القرآن الكريم يشتمل على:

- عدد أجزائه ٣٠ جزءاً، الجزء حزبان.
- عدد أحزابه ٦٠ حزباً، والحزب ٤ أرباع.
- عدد أرباعه ٢٤٠ ربعاً.
- عدد آياته ٦٢٣٦ آية.
- عدد آياته المكية ٤٤٧٥ آية.
- عدد آياته المدنية ١٧٦١ آية.
- ابتداء نزول القرآن هو ليلة السابع عشر من شهر رمضان.
- مدة النزول في مكة ١٣ يوماً و٥ أشهر و١٢ سنة.
- مدة النزول في المدينة ٩ أيام و٩ أشهر و٩ سنوات.
- انتهاء النزول هو قرب وفاة النبي ﷺ.

---

(١) انظر القرطبي ص٧٥١ الشعب.

# عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

## عدد السُّوَر:

أمّا عدد سور القرآن فمائة وأربع عشرة سورة، أولها الفاتحة وآخرها النّاس. وهذا هو رأي جمهور العلماء. وقد حكى بعض العلماء فيه الإجماع.

وقيل: وثلاث عشرة، بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، كما أخرجه أبو الشيخ بن حبّان. وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوِّذتين. وفي مصحف أُبَيّ ست عشرة، لأنه كتب في آخره سورة الحفد والخلع يعني الفتوت، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك إلى آخره. وأخرج البيهقي أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنّا نستعينك ونستغفرك ونُثني عليك ولا نَكْفُرُك ونخلع ونترك من يَفْجُرُك بسم الله الرحمن الرحيم إيّاكَ نعبد ولك نصلّي ونسجد وإليك نسعى ونحفُد[1] نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إنّ عذابك

---

(١) نحفد: أي نسرع.

الجِدَّ بالكفّار مُلْحِق» وقال ابن جريج: «حكمة البسملة أنها سورتان في مصحف بعض الصحابة».

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي إسحاق قال: «أَمَّنا أميّة بن عبدالله بن خالد بن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين إنّا نستعينك ونستغفرك. وأخرج البيهقي وأبو داود في مراسيله عن خالد بن أبي عمران أن جبريل نزل بذلك على النبي (ﷺ) وهو في الصلاة، مع قوله: ﴿**ليس لكَ من الأمر شيء**﴾[آل عمران:١٢٨] لما قَنَتَ يدعو على مُضَر - انتهى.

# عدد الآيات والكلمات والحروف

وأمّا عدد الآيات فإنّ صدر الأمّة وأئمّة السّلف من العلماء والقرّاء كانوا ذوي عناية شديدة في باب القرآن وعلمه، حتى لم يبق لفظ ومعنى إلا بحثوا عنه، حتى الآيات والكلمات والحروف فإنهم حصروها وعدّوها. وبين القراء في ذلك اختلاف: لكنه لفظي لا حقيقي.

مثال ذلك أن قرّاء الكوفة عدوا قوله: ﴿**والقرآن ذي الذكر**﴾ آيةً، والباقون لم يعدّوها آيةً، وقرّاء الكوفة عدوا ﴿**قال فالحقّ والحقّ أقول**﴾ آيةً، والباقون لم يعدّوها آيةً، بل جعلوا آخر الآية ﴿**في عِزّةٍ وشِقاق**﴾ و﴿**ولأملأنَّ جهنّمَ منك وممّن تَبِعكَ منهم أجمعين**﴾ وهكذا عدَّ أهل مكّة والمدينة والكوفة والشام آخر الآية ﴿**والشياطينَ كلَّ بنّاءٍ وغوّاص**﴾ وأهل البصرة جعلوا آخرها ﴿**وآخرين مُقرَنين في الأصفاد**﴾.

ولا شكّ أنّ ما هذا سبيله اختلافٌ في التسمية لا اختلافٌ في القرآن، ومن هنا صار عند بعضهم آيات القرآن أكثر وعند بعضهم أقلّ، لا أنّ بعضهم يزيد فيه وبعضهم ينقص، فإن الزيادة

والنقصان في القرآن كفر ونفاق، على أنّه غير مقدور البشر، قال تعالى: ﴿إنّا نحن نزّلْنا الذِّكْرَ وإنّا له لَحافِظون﴾ [الحجر: ٩].

فإذا علمت هذه القاعدة في الآيات، فكذلك الأمر في الكلمات والحروف فإن بعض القرّاءَ عَدَّ ﴿في السماء﴾ و﴿في الأرض﴾ و﴿في خلق﴾ وأمثالها كلمتين على أن «في» كلمة «والسماء» كلمة وبعضهم عدّها كلمة واحدة فمن ذلك حصل الاختلاف، لأن من عدّ ﴿في السماء﴾ وأمثاله كلمتين كانت كلمات القرآن عنده أكثر.

وعلى ضوء ذلك فإن عدد آي القرآن عند أهل الكوفة ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية، وعدد الكلمات سبع وسبعون ألفاً وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة، وأما عدد الحروف فقد عدّها بعضهم فقال ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ألفاً وستمائة وواحد وسبعون حرفاً.

## هل ترتيب السور والآيات توقيفي:

من المتّفق عليه أن ترتيب سور القرآن الكريم ـ كما هي عليه الآن في المصاحف ـ غير ترتيب نزولها على رسول الله (ﷺ)، فإن كثيراً من السور المدنية التي نزلت بعد الهجرة وضعت في آخره.

وأما ترتيب السور على ما هي عليه الآن في المصاحف، فقد اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب:

**المذهب الأول**: أن ترتيبها كان باجتهاد الصحابة وليس بتوقيف من الرسول (ﷺ).

**المذهب الثاني**: أن ترتيب السور توقيفي فنقول عن رسول الله (ﷺ) إلا سورتي الأنفال وبراءة فإن وضعهما في موضعهما كان باجتهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه، ووافق الصحابة على ذلك.

**المذهب الثالث**: أن ترتيب سور القرآن كترتيب آياته وحروفه كان بتوقيف من الرسول (ﷺ)، لا باجتهاد الصحابة، وهذا هو ما عليه جمهور العلماء وهو الذي نرجّحه والمعوَّل عليه.

والأدلة على هذا المذهب كثيرة:

من ذلك ما روى البخاري «أن النبي (ﷺ) كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفّيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد والمعوّذتين فذكرها مرتّبةً كما هي في المصحف.

كما روى مسلمٍ أنه (ﷺ) قال: «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران» فذكرهما مرتّبتين.

قال أبو بكر الأنباري: «أنزل الله القرآن كلّه إلى سماء الدنيا، ثم فرّقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدث والآية جواباً لمُستخبِر، ويقف جبريلُ النبيَّ (ﷺ) على موضع الآية والسورة، فاتّساق السور كاتّساق الآيات والحروف، كلّه عن النبي (ﷺ)، فمن قدَّم سورةً أو أخَّرها فقد أفسد نظم القرآن».

وقال البغوي في شرح السنّة: «إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفّتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوفَ ذهابِ بعضه بذهاب حَفَظَتِه، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله (ﷺ) من غير أن قدَّموا شيئاً أو أخَّروا أو

وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله، وكان رسول الله (ﷺ) يلقّن أصحابه ويعلّمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إيّاه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تُكتب عقب آية كذا في سورة كذا. فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملةً إلى السماء الدنيا. ثم كان ينزل مفرّقاً عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة».

من كل ما تقدّم يتبيّن أن ترتيب سور القرآن الكريم كان بتوقيف من رسول الله (ﷺ) وتعليم منه، وأنه (ﷺ) لم يلحق بالرفيق الأعلى إلّا بعد أن كان القرآن الكريم كلّه مكتوباً مرتّب الآيات والسور، وإن لم يكن مجموعاً في مكان واحد، بل كان مفرّقاً على جريد النخل والرقاع وصحائف الحجارة، حتى جاء الصحابة بعد ذلك فجمعوه في مكان واحد وهو المسمّى بالمصحف.

# فضْل قراءة القرآن الكريم

من خصائص القرآن الكريم، أن تلاوته عبادةٌ يُثابُ عليها الإنسان، وينال بها الأجرَ من الله تعالى. وهذه الخاصية ليست لغيره من الكتب السابقة.

وقد دلّ على ذلك القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿**إنّ الذين يَتْلونَ كتابَ الله وأَقاموا الصّلاة وأَنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور. ليوفّيهم أجورَهم ويزيدهم من فضله إنّه غفورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

ففي هذه الآية الكريمة إشادة بالتَّالِينَ لكتاب الله تعالى، وبيان لعظيم أجورهم، وكريم جزائهم.

وليس المراد بالتلاوة مجرّد المرور بالكلمات، وترديدها على الأفواه من غير فكر ولا رويّة. وإنما المراد بالتلاوة التي يصحبها التمعّن والتدبّر الذي ينشأ عنه الإدراك والتأثر، ولا شك أن التأثر يفضي بالقارىء لا محالة إلى العمل بمقتضى قراءته ولذلك أَتْبَع الله تعالى القراءة بإقامة الصلاة وبالإنفاق سرّاً وعلانيةً من فضل الله

ثم برجاء القارئين ـ بسبب ذلك ـ تجارةً لن تبور، فهم يعرفون أنّ ما عند الله فيها خيرٌ مما ينفقون ويتاجرون بها تجارة كاسبة، مضمونة الربح، يعاملون الله وحده، وهي أربح معاملة ويتاجرون بها تجارة تؤدي إلى توفيتهم أجرهم، وزيادتهم من فضل الله تعالى، إنه غفور شكور يغفر التقصير ويشكر الأداء، وشكره تعالى كناية عن رضاه تعالى عن هؤلاء، وحسن جزائهم عنده.

وكما دلّ القرآن الكريم على فضل التلاوة، وعظيم الأجر، فقد دلت السُّنة المطهّرة على ذلك أيضاً. وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة نذكر منها:

١ ـ عن ابن مسعود أن النبي (ﷺ) قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[1].

٢ ـ وعن عائشة أن رسول الله (ﷺ) قال: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرَة الكرام البَرَرة، والذي يقرأ القرآن، ويتعتع فيه، وهو عليه شاقّ، له أجران»[2].

٣ ـ وعن جابر، أن النبي (ﷺ) قال: «القرآن شافع مشفع،

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الستة. الماهر: القارىء المجوّد المتدبر. السَّفَرَة: جمع سافر، وهو الرسول، يعني الملائكة البررة: المطيعون. يتعتع: يتردّد لضعف حفظه. له أجران: أجر القراءة، وأجر المشقة وليس معناه أنه أعظم ثواباً من الماهر، فالأول في منزلة الملائكة.

وماحل مصدق، من جعله إمامه، قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره، قاده إلى النار»[٣].

٤ ـ وعن عبدالله بن عمرو: أن النبي (ﷺ) قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ، ورتِّلْ كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٤].

٥ ـ وعنه أن النبي (ﷺ) قال: «من قرأ القرآن، فقد استدرج النبوّة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يَجِدُ مع من وَجَدَ ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله»[٥].

٦ ـ وعن أنس أن النبي (ﷺ) قال: «إن للّه أهلين من الناس» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته»[٦].

والمراد بقارىء القرآن: الحافظ، أو المداوم على القراءة مع التدبّر والتجويد، أو القارىء المرتّل على قدر فهمه. أما الذي يتغنّى بالقرآن، أو يؤجر نفسه لقراءته والتغني به فقد ارتكب إثماً

---

(٣) مشفع: يشفع لأهله. ماحل: ساع، أو مجادل. جعله إمامه: اتبع وصاياه. أخرجه ابن حبان.

(٤) ارتقِ: اصعد. رتّل: اقرأ على مهل. أخرجه أبو داود، والترمذي وابن ماجه.

(٥) استدرج النبوّة: احتوى خصال النبوة. يجد مع من وجد: يغضب مع من يغضب. يجهل: يسفه. أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٦) أهلين: أحبة قريبون كقرب أهل الرجل إليه. خاصة: المقربون إليه. أخرجه النسائي وابن ماجه والحاكم.

مبيناً. أمّا ما جاء في فضل التغنّي بالقرآن فقال الشافعي، يتغنى يعني: يستغني، وبه قال أحمد بن حنبل واستنكر قراءة الألحان جداً، وقد أخرج الترمذي عن عمران بن حصين أن النبي (ﷺ) قال: «من قرأ فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن ويسألون به الناس».

# آداب تلاوة القرآن الكريم

للقرآن الكريم آداب يجب مراعاتها منها:

١ ـ أن يكون القارىء على طهارة، لأنه أفضل أنواع الـذِّكر، فهو مناجاةٌ بين العبد وربّـه، فلا بـدّ أن يكون العبـد طاهِـرَ الظّاهـر والباطن، كما يحرم على المُحْدِث حمل المصحف.

٢ ـ اختيار المكان النظيف الذي يليق بمقام القرآن الكريم.

٣ ـ استقبـال القبلة، لأنـه عبـادة، والاتجـاه إلى القبلة أدعى للقبول.

٤ ـ استعمال السِّواك تطهيراً لفمه، لأنه الـطريق الذي يخـرج منه القرآن. قال صلى الله عليه وسلّم: «إن أفـواهكم طُرُق القـرآن فطيِّبوها بالسِّواك».

٥ ـ تدبّر القرآن وتفهّمه، لأن المقصود من القراءة هـو العمل بها ولا يتحقق ذلك إلا بتدبّر ما فيها، قـال تعالى: ﴿**كتـابٌ أنزلنـاه إليكَ مباركٌ ليدَّبَّروا آياته وليتذكّر أولـوا الألباب**﴾ [ص: ٢٩]. وعن حذيفة قال: صلّيت مع النبي (ﷺ) ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها،

ثم آل عمران فقرأها، ثم النساء فقرأها، يقرأ مترسِّلاً إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعّوذٍ تعوَّذ.

٦ ـ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينه، لأنه أدعى لتأثيره على النفوس. فقد روي عنه (ﷺ) أنه قال: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم» وفي رواية «حسِّنوا القرآن بأصواتكم».

وفي حديث أبي موسى الأشعري وكان حسن الصوت، وسمعه الرسول (ﷺ) يقرأ القرآن فأعجبه. فقال له: لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود. وفي رواية أنه ﷺ قال لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة» فقال أبو موسى: «أما إنّي لو علمت بمكانك لحبّرته لك تحبيراً» أي لزيَّنته وحسَّنته.

٧ ـ يُكرَه قطع القراءة لمكالمة أحد، ما لم تكن هناك ضرورة قصوى تستدعي ذلك، لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره، ولذلك جاء في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: كان إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فقارىء القرآن إنما يتكلم مع الله عز وجل، وليس من الأدب أن ينشغل الإنسان بشيء وهو يتكلّم مع ربّه عز وجل، ولذلك جاء في بعض الأحاديث «من أراد أن يتكلم مع الله فليقرأ القرآن».

كما ينبغي على القادم على قارىء القرآن أن لا يسلّم عليه حتى يفرغ من قراءته، فقد حُدِّد في السنّة النّهي عن التسليم على قارىء القرآن الكريم، حتى لا تقطع عليه قراءته.

٨ ـ من الآداب أن يقرأ القارىء على حسب ترتيب المصحف، لأن ترتيب المصحف على هذه الكيفية كان بتوقيف من

رسول الله ـ عن جبريل عليه السلام ـ عن ربّ العزّة جلّ وعلا. روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً فقال: ذاك منكوس القلب.

٩ ـ يجب الاستماع لقراءة القرآن وحسن الإنصات وعدم التكلم مع أحد أثناء القراءة ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وإذا قُرِىء القرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم تُرحمون**﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

١٠ ـ السجود عند قراءة آية سجدة أو سماعها، ويشترط لهذه السجدة أن يكون الإنسان طاهراً، مثلها في ذلك مثل الصلاة تماماً.

١١ ـ يُسَنّ الترتيل في القراءة وعدم الإسراع، لأنه أدعى لفهم القرآن وتدبّر معانيه، قال الله تعالى: ﴿**ورتِّلِ القرآنَ ترتيلاً**﴾ [المزّمل: ٤].

وروي عن أمّ سَلَمة ـ رضي الله عنها ـ أنها وصفت قراءة النبي (ﷺ) قراءةً مفسَّرةً حرفاً حرفاً.

١٢ ـ الخشوع والبكاء أو التباكي عند قراءة القرآن أو سماعه لقوله تعالى: ﴿**إنّما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجِلتْ قلوبُهم وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون**﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿**وقرآناً فرَّقناه لتقرأه على النّاس على مكث ونزَّلناه تنزيلاً. قُلْ آمنوا به أو لا تؤمنوا إنّ الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سُجَّداً. ويقولون سبحان ربِّنا**

إنْ كان وعد ربنا لمفعُولا. ويخِرّونَ للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٦، ١٠٧].

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «قال رسول الله ﷺ: اقرأ عليّ القرآن، فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال إنّي أحبّ أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال حَسْبُك الآن، فالتفتّ إليه فإذا عيناه تذرفان» رواه البخاري ومسلم.

١٣ ـ يُسَنّ الدعاء عند ختم القرآن لما روي عنه (ﷺ) أنه قال: «من ختم القرآن فله دعوة مستجابة».

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وشفيعاً لنا يوم يقوم الناس لرب العالمين.

# البسملة وحكمها

البسملة: مصدر بَسْمَل إذا قال بسم الله أو إذا كتبها فهي بمعنى القول أو الكتابة. ثم صارت حقيقةً عُرفيّة في نفس «بسم الله الرحمن الرحيم» وهو المراد هنا. وبَسْمَل من باب النّحت، وهو أن يُختصَر من كلمتين فأكثر كلمةٌ واحدة بقصد إيجاز الكلام، وهو من غير قياس ومن المسموع، منه: سَمْعَلَ إذا قال: السلام عليكم. وحَوْقَل إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وهَيْلَلَ إذا قال: لا إله إلا الله. وحَمْدَل إذا قال: الحمد لله. وحَيْعَلَ إذا قال: حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح. وهو كثير، ولكنهم مع كثرته يعدونه من العيوب.

قال بعضهم: إنه لغة مولّدة.

وقال الماوردي: يقال لمن بَسْمَل مُبَسْمِل وهي لغة مولدة.

والبسملة ليست من القرآن عند المالكية، وآية من كل سورة عند الشافعية اتفاقاً عندهم في أول الفاتحة وعلى الأصح في غيرها.

وآية من القرآن أنزلت للفصل بين السور ليست من الفاتحة

ومن كل سورة على المرتضى عند الحنفية ومن المشهور عن الإمام أحمد.

والخلاف في غير البسملة التي في وسط سورة النمل، وأما هي فبعض آية منها بلا خلاف.

ووجه الخلاف بين القراءة في إثبات البسملة وحذفها أن القرآن نزل على سبعة أحرف ونزل مرّات متكرّرة فنزلت البسملة في بعض الأحرف ولم تنزل في بعضها فإثباتها قطعي. وحذفها قطعي وكل منهما متواتر في السبع ـ فمن قرأ فهي ثابتة في حرفه متواترة إليه ثم منه إلينا. ومن روي عنه إثباتها وحذفها فالأمران تواتراً عنده بل بأسانيد متواترة ـ وبهذا يجمع بين الأحاديث الواردة في حذفها ـ وبه كما قال بعض العلماء قد يرتفع الخلاف بين أئمة الفروع ويرجع النظر إلى كل قارىء من القراء بانفراده. فمن تواترت في حرفه تجب على كل قارىء بذلك الحرف وتلك القراءة في الصلاة بها وتبطل بتركها أياً كان وإلا فلا ولا ينظر إلى كونه شافعياً أو مالكياً أو غيرهما.

ولا خلاف بين العلماء أنّها بعض آية من النمل، كما أنّه لا خلاف بين القرّاء في إثباتها أول سورة الفاتحة سواء وصلت بالناس أو ابتُدىء بها، لأنها وإن وصلت لفظاً فهي مبتدأ بها حكماً.

وقد أجمع القراء السبعة على الإتيان بها عند الإبتداء بأول كل سورة سوى سورة براءة، وذلك لكتابتها في المصحف.

وقد اختُلِف في حكم الإتيان بالبسملة في سورة براءة.

فذهب ابن حجر والخطيب إلى أن البسملة تحرّم في أولها،

وذلك لعدم كتابتها في المصحف لأنّها نزلت بالسيف وتُكره في أثنائها.

وذهب الرملي ومُشايعوه إلى أنها تُكره في أولها وتُسَنّ في أثنائها.

**أوجه ما بين السورتين:**

إذا وصل القارىء سورةً بسورة أخرى جاز له ثلاثة أوجه:

١ ـ قطع آخر السورة الأولى عن البسملة والسورة التي بعدها، ويسمى قطع الجميع.

٢ ـ قطع آخر السورة عن البسملة، ووصل البسملة بأول السورة.

٣ ـ وصل الجميع.

ولا يجوز وصل البسملة بآخر السورة مع الوقف عليها، حتى لا يُتوهَّم إلى البسملة.

**الأوجه التي بين الأنفال والتوبة:**

من المعروف أن سورة التوبة ليس في أولها بسملة، ولعل الحكمة في ذلك هو أن هذه السورة كانت حرباً على المشركين، بعد أن نقضوا عهودهم مع رسول الله (ﷺ)، فأمر الله تعالى رسول الله (ﷺ) أن يقاتلهم كافّة كما قاتلوا المسلمين، والبسملة آية رحمة، والشدّة والرحمة لا يجتمعان في وقت واحد، ومن هنا بُدئت السورة بغير بسملة.

وللقارىء بين هاتين السورتين ثلاثة أوجه:

الوقف، والسّكت، والوصل بدون بسملة.

والفرق بين الوقف والسّكت: أن الوقف عبارة عن قطع القراءة مُدّةً مع التنفس، أمَّا السّكت فبدون تنفّس.

# الإســـتعاذة

على القـارىء إذا بدأ يقـرأ شيئـاً من القـرآن الكـريم أن يبـدأ قراءته بالإستعاذة.

والإستعاذة: مصدر استعاذ أي طلب العوذ والعياذ ويقال لِلُّجْأ: التعوّذ وهو مصدر تعوّذ بمعنى فعل العوذ ـ ومعنى العـوذ والعياذ في اللغـة اللُّجْأ والامتنـاع والاعتصام، فـإذا قال القـارىء: أعـوذ بـالله فكـأنه قـال: ألجأ وأعتصم وأتحصّن بـالله. ثم صار كـل من التعوّذ والاستعاذة حقيقة عرفية عند القراء في قـول القارىء أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو غيره من الألفاظ الواردة. فإذا قيل لك تعوّذ أو استَعِذْ، فالمراد: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

والتعـوّذ ليس من القرآن بـالإجماع، ولفـظه لفظ الخبر ومعنـاه الإنشاء أي اللهم أعذني من الشيطان الرجيم[1].

**حكمها:**

اتفق العلمـاء على أن الإستعـاذة مـطلوبـة من مـريـد القــراءة

---

(١) الإضاءة في أصول القراءة للشيخ الضباع ص ٦.

واختلفوا بعد ذلك في هذا الطلب هل هو على سبيل الوجوب أو على سبيل النَّدْب.

فذهب جمهور العلماء وأهل الأداء إلى أنه على سبيل النّدب وقالوا: إن الاستعاذة مندوبة عند إرادة القراءة. وحملوا الأمر في قوله تعالى: ﴿**فإذا قَرَأْتَ القرآن فاسْتَعِذْ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ [النحل: ٩٨] على سبيل «النَّدْب» فلو تركها القارىء لا يكون آثماً.

وذهب بعض العلماء إلى أنه على سبيل الوجوب.

وقالوا: إن الإستعاذة واجبة عند إرادة القراءة وحملوا الأمر في الآية السابقة على «الوجوب».

وقال ابن سيرين وهو من القائلين بالوجوب: لو أتى القارىء بها مرّة واحدة في حياته كفاه ذلك في إسقاط الوجوب عنه.

وعلى مذهب القائلين بالوجوب لو تركها القارىء يكون آثماً.

**صيغتها:**

المختار لجميع القراء في صيغتها «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» لأنها الصيغة الواردة في سورة «النحل» ولا خلاف بينهم في جواز غير هذه الصيغة الواردة عن أهل الأداء سواء نقصت عن هذه الصيغة نحو «أعوذ بالله من الشيطان» أو زادت نحو «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» إلى غير ذلك من الصيغ الواردة عن أئمة القراءة.

**كيفيّتها:**

روي عن نافع أنه كان يخفي الاستعاذة في جميع القرآن

الكريم، وروي مثل هذا عن حمزة أيضاً، وروي عن خلف عن حمزة أنه كان يجهر بها أول الفاتحة خاصة ويخفيها بعد ذلك في جميع القرآن، وروي عن خَلاد أنه كان يجيز الجهر والإخفاء جميعاً ولا ينكر على من جهر ولا على من أخفى.

**مواضع الإخفاء أربعة:**

**الأول:** إذا كان القارىء يقرأ سرّاً سواء أكان منفرداً أم في مجلس.

**الثاني:** إذا كان خالياً وحده سواء أقرأ سراً أو جهراً.

**الثالث:** إذا كان في الصلاة سواء أكانت الصلاة سرّية أم جهرية.

**الرابع:** إذا كان يقرأ مع جماعة يتدارسون القرآن كأن يكون في مَقْرَأة ولم يكن هو المبتدىء بالقراءة.

وما عدا ذلك يُستحبّ فيه الجهر بها.

**تتمة:** إذا كان القارىء مبتدئاً بأوّل سورة، سوى سورة براءة، تعيّن عليه الإتيان بالبسملة كما سيأتي.

وحينئذ يجوز له بالنسبة للوقف على الاستعاذة، أو وصلها بالبسملة أربعة أوجه.

**الأول:** الوقف على الاستعاذة والبسملة، ويسمى قطع الجميع.

**الثاني:** الوقف على الاستعاذة ووصل البسملة بأول السورة

ويسمى قطع الأول ووصل الثاني بالثالث.

**الثالث**: وصل الاستعاذة بالبسملة والوقف عليها، ويسمى وصل الأول بالثاني وقطع الثالث.

**الرابع**: وصل الاستعاذة بالبسملة مع وصل البسملة بأول السورة، ويسمى وصل الجميع.

أما إذا كان مبتدئاً بأول سورة براءة فيجوز له وجهان:

**الأول**: الوقف على الاستعاذة، والبدء بأول السورة بدون بسملة.

**الثاني**: وصل الاستعاذة بأول السورة بدون بسملة أيضاً.

**فائدة**: لو قطع قراءته لعذر طارىء قهري كالعطاس أو التنحنح أو الكلام يتعلق بمصلحة القراءة لا يعيد الاستعاذة.

أما لو قطعها إعراضاً عن القراءة، أو الكلام لا تعلُّقَ له بالقراءة ولو ردّ السلام فإنه يستأنف الاستعاذة.

# مبادىء علم التجويد

لكل علم مبادىء عشرة لا بدّ من معرفتها قبل الخوض في المقصود، وهذه هي مبادىء علم التجويد.

**معنى التجويد:**

التجويد في لغة العرب إحكام الشيء وإتقانه، يقال: جوَّدَ فلان الشيء وأجاده إذا أحكم صنعه وبلغ به الغاية في الإحسان والكمال.

وأما في اصطلاح علماء التجويد فهو عبارة عن العلم الذي يبحث في الكلمات القرآنية، من حيث إعطاء الحروف حقها ومستحقها[1].

قال الإمام ابن الجزري:

«التجويد: مصدرٌ من جوَّدَ تجويداً، والاسم منه الجودة ضد

---

(١) حق الحرف: مخرجه وصفاته التي لا تفارقه كالهمس والجهر، ومستحقه: صفاته العارضة التي يوصف بها أحياناً كالتفخيم والترقيق.

الرداءة يقال جـوَّدَ فلان في كـذا إذا فعل ذلـك جيداً، فهـو عندهم عبـارة عن الإتيان بـالقراءة مجـوّدة الألفاظ، بـريئـة من الـرداءة في النـطق، ومعنـاه انتهـاء الغـايـة في التصحيح، وبلوغ النهـايـة في التحسين».

ولا شك أن الأئمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حـدوده فهم متعبدون بتصحيـح ألفاظـه وإقامـة حروفـه على الصفة المتلقّاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبويـة الأفصحية العـربية التي لا تجوز مخالفاتها، ولا العدول عنها إلى غيرها ـ والنـاس في ذلـك بين محسن مأجـور، ومسيء آثم أو معـذور، فمن قـدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي، استغناءً بنفسه واستبداداً برأيه وحده واتكالاً على مـا ألف من حفظه، واستكبـاراً عن الرجـوع إلى عالم يفقّهـه على صحيح لفظه فإنه مقصِّر بلا شـك وآثم بلا ريب، ونـاسٍ بلا مِرْية.

فقد قال رسول الله (ﷺ): «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

أما من كان لا يطاوعه لسانه أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها.

ولهـذا أجمع من نعلمـه من العلماء على أنـه لا تصـح صـلاة قارىء خلف أمّي، وهو من لا يُحسِن القراءة، وعدَّ العلمـاءُ القراءةَ بغير تجويدٍ لحناً، وعدّوا القارىء بها لحّاناً.

فالتجويد هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحـروف

حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صفته، وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلّف، وإلى ذلك أشار النبي (ﷺ) بقوله: «من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد» يعني عبدالله بن مسعود، وكان رضي الله عنه قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى وناهيك برجل أحب النبي (ﷺ) أن يسمع القرآن منه، ولما قرأ بكى رسول الله (ﷺ) كما ثبت في الصحيحين.

**موضوعه:**

كلمات القرآن الكريم، قيل: وكذلك الحديث الشريف.

**فضله:**

علم التجويد من أشرف العلوم وأفضلها لتعلقه بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم.

**فائدته:**

الفوز بسعادة الدنيا والآخرة، قال (ﷺ): «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه».

**استمداده:**

من القرآن والسنّة.

**واضعه:**

أئمة القراء، المتصل سندهم إلى رسول الله (ﷺ).

**اسمه:**

علم التجويد.

**مسائله:**

قواعده وقضاياه الكلية التي يتوصل بها إلى معرفة أحكام الجزئيات.

**غايته:**

صون اللسان عن اللحن والخطأ في كلام الله تعالى.

واللحن قسمان: جليّ، وخفيّ.

أما الجليّ: فهو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخلّ بعرف القراءة، سواء أخلّ بالمعنى أم لا، كتغير حرف بحرف، أو حركة بحركة، وسمي جلياً لاشتراك القراء وغيرهم في معرفته، وهو حرام يأثم القارىء بفعله.

والخفيّ: هو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخلّ بالعرف دون المعنى، كترك الغُنّة، وقَصْر الممدود، ومدّ المقصور وهكذا. وسمّي خفياً لاختصاص أهل الفن بمعرفته، وهو مكروه معيب عند أهل الفن، وقيل يحرّم لذهابه برونق القراءة.

**حكمه:**

العلم به فرضُ كفايةٍ، والعمل به فرض عَيْن على كل قارىء للقرآن الكريم، فالتجويد واجبٌ على كل من يريد أن يقرأ شيئاً من القرآن الكريم، يُثاب القارىء على فعله، ويُعاقَب على تركه، لأنه

هكذا أنزل على رسول الله (ﷺ) مجوّداً مرتّلاً، ووصل إلينا كذلك نقلاً عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يومنا هذا.

## الأدلّة على وجوب تجويد القرآن الكريم:

### أولاً: من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدةً كذلك لنثبّت به فؤادَك ورتّلناه ترتيلاً﴾ [الفرقان: ٣٣].

فقد بيَّن سبحانه وتعالى أن من حكمة تنزيل القرآن منجّماً هي ترتيل القرآن وتجويده، وهذا يدل على وجوب ترتيل القرآن والنطق به كما أنزله الله عزَّ وجل.

وقال تعالى: ﴿ورتِّل القرآنَ ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤].

فإن المراد بالترتيل تجويد الحرف، وإتقان النطق بالكلمات فقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الترتيل في هذه الآية فقال: الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وقال بعض المفسرين: إيتِ بالقرآن في تؤدة وطمأنينة وتدبّر وتذليل اللسان على النطق بالحروف والكلمات متقنةً مجودةً بقصر ما يجب قصره، ومدِّ ما يجب مدّة وتفخيم ما يتعين تفخيمه، وترقيق ما يتحتم ترقيقه، وإدغام ما يجب إدغامه، وإخفاء ما يلزم إخفاؤه إلى غير ذلك من الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿ورتِّل﴾ أمرٌ، وهو هنا للوجوب لأنّ الأصل في الأمر أن يكون للوجوب إلا إذا وجدت قرينةٌ تصرفه عن الوجوب إلى غيره من النَّدْب أو الإباحة أو الإرشاد أو التهديد إلى غير

ذلك، فيُحمَل على ذلك لتدل عليه القرينة، ولم توجد قرينةٌ هنا تصرفه عن الوجوب إلى غيره فيبقى على الأصل وهو الوجوب.

**ثانياً: من السنة:**

وكما دلّ القرآن على وجوب تجويد القرآن وترتيله فقد دلّت السنة على ذلك أيضاً. من ذلك قوله (ﷺ): «اقرؤا القرآن بلُحُونِ العرب وأصواتها وإياكم ولُحُونَ أهل الفسق والكبائر فإنه سيجيء أقوام من بعدي يُرجِّعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنّوح لا يجاوز حناجرَهم، مفتونةً قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم»[٢].

والمراد بالقراءة بِلُحُون العرب القراءة التي تأتي حسب سجية الإنسان وطبيعته من غير تصنّع ولا تَعَمُّل، ولا قَصْدٍ إلى الأنغام المستحدَثة والألحان التي تذهب بروعة القرآن وجلاله.

والمراد بلُحُون أهل الفسق والكبائر القراءة التي تراعى فيها النغمات الموسيقية والتطريب والتلحين. وإنما حذّر النبيّ (ﷺ) من هذه القراءة لأن الشأن فيها أنها تكون ذريعةً إلى التلاعب بكتاب الله تعالى بالزيادة فيه أو النقص منه، إمّا بتطويل المدّ فوق المقدار المقرّر له أو تقصيره عن المقدار المذكور، أو بالمبالغة في الغنِّ أو النقص فيه، أو بتوليد أَلِفٍ من الفتحة وياءٍ من الكسرة، وواوٍ من الضّمة إلى غير ذلك مما يترتب على القراءة بالأنغام والألحان الموسيقية من انحراف عن الجادّة في القراءة، وبُعْدٍ عن الصواب في التلاوة.

---

(٢) رواه الإمام مالك والنّسائي والبيهقي والطبراني.

ومن أجل ذلك كانت القراءة بهذه الألحان مذمومةً ومحرّمةً شرعاً.

فإنْ قرأ القارىء بهذه الأنغام الموسيقية، ولكن تحرّى الدقة في إتقان الحرف وتجويد الكلمات، وتحسين الأداء، ومراعاة حسن الوقف وابتداء، ولم ينحرف يمنةً أو يسرةً عن القواعد التي وضعها علماء القراءة، فلا بأس بها.

## ثالثاً: الإجماع:

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة من عهد نزول القرآن إلى وقتنا هذا على وجوب قراءة القرآن قراءةً مجوّدةً سليمةً من التحريف والتصحيف، بريئةً من الزيادة والنقص، مُراعَىٰ فيها ما يجب مراعاته في القراءة من القواعد والأحكام، لا خلاف على ذلكَ بين المسلمين في كل عصر.

من كل ما تقدّم يُستفاد أن تجويد القرآن وإخراج كل حرف من مخرجه وإعطاءه حقه ومستحقه أمر لا بد منه، ولذلك يقول الإمام الجزري:

والأخذُ بالتجويد حَتْمٌ لازِمُ ... مَنْ لم يجوِّدِ القرآنَ آثمُ
لأنّه به الإلٰه أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا
وهو إعطاءُ الحروفِ حقَّها ... من صفةٍ لها ومستحقّها
مكمّلاً من غير ما تكلُّفِ ... باللّطفِ في النّطق بلا تعسّفِ

## كيف تتعلم التجويد:

التجويد له قواعد وأحكام ذكرها العلماء في الكتب الخاصة

به، فمن حيث الإحاطة والإلمام بها يجب على قارىء القرآن أن يراجع أي كتاب من هذه الكتب.

وأما التجويد العملي، وهو تطبيق هذه الأحكام على ألفاظ القرآن الكريم، فلا يمكن أن يؤخذ من المصحف، ولا من الكتب، وإنما يؤخذ بالتلقي عن الشيوخ المتخصّصين في ذلك، لأن هناك أحكاماً لا يمكن أن تُعرف إلا بالتلقي مثل الرَّوْم. والإختلاس، والإشمام، والإخفاء، والإدغام، والتسهيل، والمدّ، والتقليل، والإمالة وغير ذلك من الأحكام الدقيقة.

وللأخذ عن الشيوخ طريقتان:

**الأولى**: أن يستمع التلاميذ من لفظ الشيخ بأن يقرأ الشيخُ أَمامَ التلاميذ وهم يسمعون وهذه طريقة المتقدمين.

**ثانياً**: أن يقرأ التلميذ بين يدي الشيخ وهو يسمع. وهذه طريقة المتأخرين.

والأفضل الجمع بين الطريقتين، فإن لم يتسع الوقت لهما، أو كان هناك مانع من الجمع بينهما فليقتصر على الثانية، لأنها أعظم أثراً وأجلّ فائدة في تقويم لسان الطالب وتمرينه على القراءة السليمة من الأولى.

# من القرآن إلى الفرقان

أيها الأخ الكريم، القارىء ببصيرة وتدبّر، ترى الهوة الواسعة المدى بين القرآن من حيث هو كلام الله القديم، وبين الفرقان من حيث كونه كلاماً، أنزله الله على قلب عبده محمد صلى الله عليه وسلم.

فالقديم معجوزٌ عنه تماماً، ولا يمكن القرب منه بالعقل ولا بالوهم، ولا بأي نوع من المدارك البشرية.

ومن ثَمّ كلامُه وصفاته من حيث هي صفات ذاتية له تعالى، فذاك مجال لا قِبَلَ لأيّ إنسان باقتحامه ولا الجسارة عليه بالقول ولا بالخيال.

فكلّ ما خطر ببالك فهو هالك، والله تعالى بخلاف ذلك:

﴿ليسَ كمِثْلِه شيءٌ وهو السَّميعُ البصير﴾ [الشورى: ١١].

فالقرآن المكتوب في المصحف، المقروء كلاماً باللغة العربية له مميزات وخصائص من الإعجاز والشرف معروفة عند أهل العلم وأولي النظر، ومع ذلك فهو مفهوم للجميع، ويمكن لأي طائفة من

الخلق أن تفهم منه على قدر مداركها.

وبَيْنَ الفُرقان والقرآن النبيُّ محمد صلى الله عليه وسلّم، لأنّ الرسول محمد (ﷺ)، شخصية لها طرفان:

١ ـ الطرف الأول لشخصيته نزولاً ـ الجانب البشري، وهو القريب لنا جميعاً، وهو الطّور المعروف للناس عامة، بصفاته الخلقية الجميلة، وخلقه العظيم، ومواهبه الجبارة التي تحنو العقول لها إجلالاً وإكباراً. والجانب البشري هذا قال عنه الحق جلَّ وعلا:

﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكم﴾ [التوبة: ١٢٨]، أي من جنس بشركم.

وفي مكارم الأخلاق:

﴿وإنَّك لعَلىٰ خُلُقٍ عظيم﴾ [القلم: ٤].

وهي أعلى مرتبة في الثناء والمدح، والخلق العظيم منحةٌ وهِبةٌ في العطاء الربّاني لصفوة الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ولمن اقتدى به.

والخُلُق العظيم وإن كان أعلى مرتبةً في الثناء، إلا أنه أيضاً الهدف السامي والحكمة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله، أي النبي:

«إنما بُعِثتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق».

٢ ـ أما الطرف الثاني لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

صعوداً، أنه الطور البعيد عن مداركنا البشرية، أعني بذلك الجانب الروحي في شخصية النبي (ﷺ).

وهو طور القابلية لتلقّي الوحي المباشر، أي هو الوجه المقابل للغيب، المستعد للجذب منه، وإفاضة ما جذبه وتلقّاه على البشر بعد ترجمته إلى لغتهم، وتقريبه إلى أفهامهم، ومداركهم قرآناً كان، أو حكمةً، أو سلوكاً.

لذا كان معراجه مخالفاً تماماً لكل معاريج الأتقياء والمقرّبين، إذ كان بالروح والجسد، رداً على المنكرين.

﴿سُبْحانَ الذي أَسْرىٰ بعبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

فلفْظُ بعبده يشمل الروحَ والجسد.

وكان بالخَلْوة في الغار، وبالرؤيا الصالحة تأتي كفلق الصبح:

﴿لقد صدقَ الله رسوله الرؤيا بالحقّ﴾ [الفتح: ٢٧].

وبمشاهدة الآيات الكبرى ليلة الإسراء:

﴿لقد رأىٰ من آيات ربّه الكُبرىٰ﴾ [النجم:١٨].

والتقدّم على الأمين جبريل أيضاً عند سُدْرة المنتهى في نفس الرحلة، حيث قرّر القرآن أنّ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، رأى جبريلَ مرّتين في صورته الحقيقية، له ستمائة جناح، كما جاء في التفسير.

المرة الأولى: في الصعود عندما توقّف منه وطلب إليه أن يتقدم هو.

والمرة الثانية: عند نزلة الرسول عند سدرة المنتهى أيضاً.

أي مرةً صعوداً ومرةً نزولاً، وقد أثبت القرآن ذلك:

﴿ولقدْ رآهُ نَزْلَةً أُخرىٰ. عند سِدْرة المُنتهىٰ﴾ [النجم: ١٣ - ١٤].

إلى غير ذلك مما شاهده الخاصّ والعام.

ومع هذا كلّه فإن الوجه الغيبيّ لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان بحاجة إلى واسطة أخرى روحانيّة بحتة وكانت تلك الواسطة هي «جبريل الروح الأمين» الذي نقل القرآن من لوح العلم المحفوظ المكنون إلى رسول الإنسانية جمعاء بطريقة كانت تجهد الجانب البشري في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وتفنى عن كل شيء، حتى كان يتصبّب عرقاً في اليوم البارد من الشتاء.

ثم يبقى الجانب الغيبي الروحي: أي الطرف العلوي كما أشرنا، في قمة من اليقظة والإدراك يتلقّى ويترجم حتى إذا ما أفاق جسدُه الشريف، وتيقظ طورُه البشري نطق بالآيات كما سمعها تماماً لا زيادة فيها ولا نقصاً، مصداقاً لقوله جلّ وعلا:

﴿سنُقرِئكَ فلا تنسى﴾ [الأعلى: ٦].

وقوله:

﴿لا تُحرِّكْ به لسَانَكَ لِتعْجَلَ به. إنّ علينا جَمْعَه وقرآنَه﴾ [القيامة: ١٦ - ١٧].

والقرآن العظيم أحاطه الحق عزّ وجلّ، بسرِّه المكنون،

وأوصله إلينا، على قدر تحمّلنا وطاقتنا كبشر، لأنه تعالى: لو أنزله في قمة سرّه، وحقيقة عظمته لتصدّعنا، ولسنا بأقوى من الجبل حينما يبيّن لنا الحقّ سبحانه، حالَ الجبل، لو نزل عليه القرآن، في قوله تعالى:

﴿لو أَنْزَلْنا هذا القرآنَ على جَبَلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدِّعاً من خشية الله﴾ [الحشر: ٢١].

والخلاصة، أن القرآن أُنزل إلينا، محاطاً سرّه في اللفظ نفهمه بالتدبّر، والسرّ لا ندركه.

ولا يظهر لنا كلّيةً، فكأنّ الانتقال من القرآن إلى الفرقان كوصول التيّار الكهربيّ إلينا في الأسلاك مغطّاة بالعوازل من الجلود وغيرها، فلو تَكشّفت ونُزِع عنها الغطاء لأحرقت كلَّ من لامسها، هذا تقريبٌ للعقل مع الفارق، ولله المثل الأعلى.

# إعجاز التلقي المحمّدي للقرآن

لعلّنا أدركنا من البيان السابق، مدى تلك الهوّة التي تفصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة.

ولعلّنا أدركنا أن أقصى ما وصلت إليه البشرية باستعدادها الذي منحها الله تعالى إياه بمحض العناية الربانية، هو الخروج من نطاق العالم المنظور إلى مرتبة من مراتب العالم غير المنظور بحيث تكون مؤهّلة لتلقي الخطاب الغيبي بوساطة الوحي، دون أن تدرك الكُنْه الحقيقيّ للكلام الذاتي القديم إلا بعد تَنَزُّله إلى اللوح المحفوظ ثمّ إلى الروح الأمين.

ولعلنا أدركنا أن ذلك لا يتمّ إلا لأكمل البشر، الجامع للكثيف واللطيف بحيث ينسجم هذان الضدّان في قوة الصحو والغيبة معاً بحيث يستخدم النبيُّ كلاً منهما فيما خُلِق من أجله لا يتعدّاه إلى غيره، أي أنه الجامع لقمم الكمال الإنساني التي لا نظير لها ولا يُتَصوَّر كمالٌ بعدها في إنسان.

ولعلّنا أدركنا أنّ هذا الكامل مع حظوته بأعلى قدر من العناية الإلٰهية، نجد أنه كان يعاني من آثار الجهاد الجسدي في سبيل

الوصول إلى تلك المرتبة من مراتب التنزّل الإلهي الكريم.

ومن هنا ندرك أن منتهى علم البشر من غير الأنبياء هو الفرقان الذي تُرجم إلى كلمات عربية مبينة، بما لها من أسرار الجمال والإعجاز.

أما بين ذلك وبين تنزّل الكتاب على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يدركه مُدرِكٌ حتى الآن.

أعني بتنزيل الكتاب، أي القرآن.

ومن المتواتر من أحاديث بدء الوحي على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وصف بنفسه وقت نزول الوحي، أعني الوحي بالقرآن أو الفرقان على قلبه، قرّر صلى الله عليه وسلم أنّه كان يسمع مثل صلصلة الجرس، كما كانت حالة صلصلة الجرس هذه هي أشد حالات الوحي عليه.

ولا نجد ما يشبه صلصلةَ الجرس في القرآن الكريم سوى الحروف المبهمة التي افتُتحت بها بعض سور القرآن وتبلغ تسعاً وعشرين سورة.

فإذا ما رتّلنا هذه الحروف حسب ما وصل إلينا من القراءات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم: فإننا سنحصل بالفعل على ألحان مختلفة من صلصلة الجرس تماماً كما تنطق، فهي تختلف حدّةً ولیناً، طولاً وقصراً، وعمقاً بعضها عن بعض، وسنحاول ذلك مكرّرين الحروف على عدد الحركات المقرّرة لكل حرف في علم التجويد، ثم تتبّع الحروف بالآيات التي تليها لنقيم دراستنا على أساسها.

١ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا م م ي ي ي ي ي ي م
﴿ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هُدىً للمتقين﴾ [البقرة].

٢ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا ي ي ي ي ي م
﴿الله لا إله إلا هو الحيّ القيّوم، نزّل عليك الكتاب بالحقّ مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل﴾ [آل عمران]

٣ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا م ي ي ي ي ي م ص ا ا ا ا ا د
﴿كتابٌ أنزلناه إليك فلا يكُنْ في صدرك حَرَجٌ منه لتُنْذِرَ به وذِكرىٰ للمؤمنين﴾ [الأعراف].

يُلاحظ أن الدّال في ص: مُقَلْقَلَة.

٤ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا م ر ا ا
﴿تلك آياتُ الكتاب الحكيم﴾ [يونس].

٥ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا م ر
﴿كتابٌ أُحكِمَتْ آياتُه ثم فُصِّلت من لَدُنْ حكيمٍ خبير﴾ [هود].

٦ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا م ر ا ا تلك آيات الكتاب المبين.
﴿إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون﴾ [يوسف].

٧ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا م م ي ي ي ي ي م ر ا ا
﴿تلك آياتُ الكتابِ والذي أُنزِل إليكَ من ربِّكَ الحقّ ولكنّ أكثرَ النّاس لا يؤمنون﴾ [الرعد].

٨ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا م ر ا ا

﴿كتابٌ أنزلناه إليكَ لتُخرِجَ النّاسَ من الظّلمات إلى النّور بإذن ربِّهم إلى صِراط العزيز الحميد﴾ [إبراهيم].

٩ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا ا م ر ا ا

﴿تلك آياتُ الكتاب وقرآن مبين ربّما يودُّ الذين كفروا لو كان مسلمين﴾ [الحجر].

١٠ ـ ك ا ا ف هـ ا ا ي ا ا ع ي ي ي ي ي ن ص ا ا ا ا ا ا د

﴿ذِكْرُ رحمت ربك عبدَه زكريّا﴾ [مريم].

ويلاحظ أن الصّاد مُقَلْقَلَةٌ هنا أيضاً مثل صاد الأعراف، أي يتبع ذلك فتح خفيف.

١١ ـ ط ا ا هـ ا ا

﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾ [طه].

١٢ ـ ط ا ا س ي ي ي ي ي م م ي ي ي ي ي م

﴿تلك آياتُ الكتاب المبين﴾ [الشعراء].

يُلاحَظُ هنا الإقلاب في قلب النّون من سين ميماً كما هو مثبت س ي ي ي ي ي ن.

فإنك تلاحظ أنها مثبتة بعد الإقلاب ميم لأن بعد النون ميماً مدّية أيضاً.

١٣ ـ ط ا ا س ي ي ي ي ي ن. تلك آيات القرآن

﴿وكتاب مبين﴾ [النمل].

١٤ ـ ط ا ا س ي ي ي ي ي م م ي ي ي ي ي م
[القصص]

١٥ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا م م ي ي ي ي ي م.
﴿أَحَسِبَ النـاسُ أن يُترَكـوا أن يقولـوا آمنّـا وهم لا يُفتَنـون﴾ [العنكبوت].

١٦ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا م م ي ي ي ي ي م
﴿غُـلِبَتِ الـرّومُ فـي أدنى الأرضِ وهـم مِنْ بـعـد غَـلَبِـهِـمُ سَيَغْلِبُون﴾ [الروم].

١٧ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا م م ي ي ي ي ي م
﴿تلك آيـاتُ الكتـاب الحكيم. هُـدىً ورحمـةً للمحسنين﴾ [لقمان].

١٨ ـ ألف: ل ا ا ا ا ا م م ي ي ي ي ي م
﴿تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فيه من ربِّ العالمين﴾ [السجدة]

١٩ ـ ي ا ا س ي ي ي ي ي ن
﴿والقرآن الحكيم﴾ [ياسين].

٢٠ ـ ص ا ا ا ا ا د
﴿والقرآن ذي الذِّكْر﴾ [صٓ].

والدال سبق نظيرها: في ص الأعراف: و ص. مريم.

٢١ ـ ح ا ا م ي ي ي ي ي م
﴿تنزيلُ الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [غافر].

٢٢ - ح ا ا م ي ي ي ي ي ي م. تنـزيـلٌ من الـرّحمن الرحيم.
﴿كتابٌ فُصِّلتْ آياتُه قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ [فصِّلت].

٢٣ - ح ا ا م ي ي ي ي ي ي م ع ي ي ي ي ي ي ن س ي ي ي ي ي ي ن ق ا ا ا ا ا ا ف.

﴿كـذلـك يـوحي إليـك وإلى الـذين مِنْ قبلك الله العـزيـز الحكيم﴾ [الشورى].

٢٤ - ح ا ا م ي ي ي ي ي ي م.
﴿والكتاب المبين﴾ [الزخرف].

٢٥ - ح ا ا م ي ي ي ي ي ي م.
﴿والكتاب المبين﴾ [الدخان].

٢٦ - ح ا ا م ي ي ي ي ي ي م.
﴿تنزيلُ الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الجاثية].

٢٧ - ح ا ا م ي ي ي ي ي ي م.
﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الأحقاف].

٢٨ - ق ا ا ا ا ا ا ف
﴿والقرآن المجيد﴾ [ق].

٢٩ - ن و و و و و ن.
﴿والقلم وما يَسْطُرون﴾ [القلم].

أمامنا الآن أربع عشرة وحدة صوتية. إذا رتّلناها كما هو

موضّح أمامنا، فإننا سنحصل بالفعل على أربعة عشر لوناً من ألحان صلصلة الجرس، وهي على الترتيب:

ألم. ألمص. ألمر. الر. كهيعص. طه. طسم. طسين. يس. ص. حم. حمعسق. ق. ن.

وقد كرّر بعضها حتى تمّت عدتها تسعاً وعشرين وحدة صوتية من ألحان صلصلة الجرس كان يسمعها الرسول صلى الله عليه وسلم توعي روحه وعقله.

وهي اللغة الغيبية التي كان يتلقاها أولاً، فيشعر بشدة عنيفة ما بعدها من شدّة.

ونحن نلاحظ أن الترجمة الغيبية لهذه الوحدات الصوتية المنبعثة من هذه الحروف المبهمة، هي أن هذه الحروف بهذا الصوت الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم، هي القرآن وهي الكتاب المبين كما هو واضح من الآيات المثبتة عقب تلك الحروف.

فهي الكتاب لا ريب فيه، وهي الكتاب الذي نزّله مصدّقاً لما بين يديه في التوراة والإنجيل، وهي آيات الكتاب الحكيم، وهي آيات القرآن وكتاب مبين، وهي تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين، وهي تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، وهي تنزيل من الرحمن الرحيم... إلى آخر ما هو واضح ظاهر لا يحتاج إلى نقاش.

كما نلاحظ أن صوت صلصلة الجرس هذه ليست هي الطريقة

التي اختصّ الله تعالى بها نبيَّنا محمد صلى الله عليه وسلم من دون الأنبياء. بل هي الطريقة التي أنزل الله تعالى بها الكتب السماوية السابقة على القرآن إلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما هو مبيّن في محكم التنزيل:

﴿حم. عسق. كذلك يوحي إليك وإلى الذين مِنْ قبلك الله العزيزُ الحكيم﴾ [الشورى: ١ - ٣].

يتضح لنا من هذا أن كيفية الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، هي نفس كيفية الوحي للأنباء السابقين، فهذه الحروف، لا بأعيانها المرسومة أمامنا، وإنما بلحنها وتوقعها الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم، من الغيب، هي جملة القرآن كله.

وهي الكتاب كما هو في لغة الغيب المقدّسة المنزّهة عن النظير والمثيل. ومن هنا كانت الشِّدة التي عبّر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفصح عنها في أحاديث بدء الوحي.

والله أعلى وأعلم.

# مقاييس الإعجاز القرآني

١ ـ جودة السَّبْك.
٢ ـ جمال الأسلوب.
٣ ـ روعة الاستعارة والتشبيه.
٤ ـ السهولة الممتنعة.
٥ ـ الإخبار بالمغيّبات.
٦ ـ الإيجاز مع الكمال.

هذا وغيره ممّا هو مثله كل ما أمكن أن يصل إليه العلماء من دلائل إعجاز القرآن.

**فهل هذا هو إعجاز القرآن؟!**

مما نعلمه جميعاً أنّ القرآن تحدّى قوماً اشتهروا بالفصاحة والبلاغة، وهم يملكون من وسائل الإحساس ومقاييس الجمال، شيئاً واحداً رئيسياً هو الذوق العام البعيد المدى، ذلك الذوق الذي أنبتته البيئة الصحراوية الرائعة، ودعمه صفاء الحسّ، وقوّة المدارك، كما هو واضح من فصول التاريخ الجاهلي المتشعب الأنحاء.

ولا يغيب عنّا أنهم كانوا لا علم لهم بالاستعارة ولا التشبيه ولا الحصر ولا القصر ولا بفنون البديع والمعاني والبيان، كل هذا منفيٌّ عنهم تماماً، إلا الفهم بالسليقة الفطرية.

إن الوليد بن المغيرة، حينما عبّر عن مشاعره نحو القرآن، قال: إنّ له لَحَلاوة، وأن عليه لَطَلاوة، ثم استنتج من تلك الحلاوة والطلاوة، أنه ليس بقول بشر، وهو بهذا القول قد اتجه مباشرة إلى الذوق لا إلى قواعد المقابلة وردِّ الصدر على العَجُز وردِّ العَجُزِ على الصّدر إلى غير ذلك مما لم يكن لمن أعجزهم القرآن به علم، فما الحلاوة والطلاوة إلا مجال الذوق والوجدان ولا شيء سوى الذوق والوجدان شعر به الوليد، ولكنه لم يستطع أن يحدد حقيقة الحلاوة والطلاوة، ولا معرفة مصدرهما تحديداً دقيقاً، من هنا مالَ بعض المحدثين إلى بحث موضوع إعجاز القرآن بعد دراسة فنون الموسيقى، وتطبيقها على موسيقى القرآن.

وهذا الرأي على أي حال قريب من الحقيقة، إلا أنّه ليس كل الحقيقة:

وهو خطوة واسعة تجاه الحقيقة، وعلى الباحث أن يقف فيها عند نقطة هي: فساد تعليل الجمال بالمقاييس الحسابية، لأن من عار الوجدان أن يُقال إن جمال الوردة سببه أن حمرتها مركّبة من اللونين الأبيض والأحمر بنسبة كذا إلى كذا، فليس في هذا التعليل جمال ولا ما يمتّ إلى الجمال إلا بصلة متنافرة مع قواعد العلم.

لقد كان كفّار الجاهلية يخشون سماع القرآن، ويقولون لحاضريه ﴿**لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**﴾ [فصّلت: ٢٦].

وكان بعضهم يضع أصبعيه في أذنيه ويستغشي ثيابه لئلا يسمعه، حتى ولو كان المسموع آيات تخلو من فنون البيان والمعاني والبديع، من آيات الأحكام والقوانين الشرعية فلماذا؟

الحقيقة والسرّ في ذلك أن العامل المؤثر المنبعث من القرآن هو روح القرآن، وهو السر المكنون الذي تحدثنا عنه سابقاً، فهو يصل إلى القلوب ويؤثر في المسامع. روح عالقة بالصورة لا صورة جوفاء، وليست في ذوقه المادي المتمثل في الاستعارة والكناية وغيرهما.

فالقرآن: حجج تدحض مذاهب الكفر.

ويرسم شرائع وقوانين للمؤمنين، وإخبار عن غيب.

ولكلّ لون من أصوله هذه روح، وله في مجموعه روح شامل قريب من منبع الفيض القرآني الأوّل، أي يذاق ولا تعرف له تفاصيل، وهذا الروح القرآني العام هو الذي استولى دون شك على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، في عهده الأول بالوحي حتى احتاج إلى الدِّثار في جوّ مكة المصهور.

وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحيرة والقلق حينما غاب عنه الوحي بعض الوقت، وينحصر في اثنتين:

**الأولى ـ روح القرآن:**

**﴿وكذلك أوحينا إليكَ روحاً من أمرنا ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ ولكنْ جعلناه نوراً﴾** [الشورى: ٥٢].

الثانية ـ حاجته إلى الدِّثار.

﴿يا أيّها المُدَّثِرْ. قُمْ فأَنْذِرْ﴾ [المدثر:١ - ٢].

وهـذا هو الشعـور العُلْويّ بالقـرآن، لا الشعور النـازل بـه من مستوى البلاغة وعلومها.

والشعـور العلوي هذا، أعني روح القـرآن، هو الـذي أصبـح نبعـاً فيّـاضـاً في شخصيـة النبي صلى الله عليـه وسلم، كمـا رتّـل القـرآن بأمـر ربّه فـانسَابَ نفسُ الشعـور الذي أحسَّ بـه واستنبـطه واستجمعه مع ترتيله للكلمات المنطوقة إلى نفوس السامعين، فهـزّ وجـدانهم هزّاً رقيقـاً، ولكنه في الـواقع بـالغ القـوة في النفـاذ إلى الأعماق، وعصرهـا عصراً عنيفـاً وهذا مـا خشيه كبـراء قريش على أصـاغرهم أن ينقـادوا لهذا الـروح، ويستسلموا للسلطان القـاهـر، ذلـك الذي استفـاضـه الـرسـول صلى الله عليـه وسلم، من عـالم الغيب إلى عالم الإنسان المشهود.

لذا قلنا إن القرآن متعدد الأرواح، وله فوق ذلك روح شامـل، أي أنه تلوين يعلوه تمكين.

والذي يشعر بالقرآن، أعني بروح القرآن، صـاحب تمكين في تلوين أو صاحب تلوين في تمكين.

والحقيقة فيه أنّ الرّوح الذي يحسّـه قارىء ﴿والطُّور. وكتابٍ مَسْطور. في رِقٍّ منشور..والبيت المعمور﴾ [الطور:١ - ٤] غيـر الرّوح الـذي يحسّه قـارىء ﴿والنَّجمِ إذا هَوىٰ. مـا ضـلَّ صـاحِبُكُمْ ومـا غَـوىٰ. ومـا ينـطِقُ عن الـهَـوىٰ. إنْ هـو إلاّ وَحْيٌ يُـوحَىٰ﴾ [النجم:١ - ٤].

وغير الرّوح الذي يسيطر عليك وأنت تقرأ:

﴿والصّافّاتِ صفًّا. فالزّاجِراتِ زَجْراً. فالتّالياتِ ذِكْراً. إنَّ إلٰهَكُمْ لَواحِدٌ. ربُّ السّمواتِ والأرضِ وما بينهما وربُّ المَشارِقْ﴾ [الصّافات: ١ - ٥].

وغير الروح الذي يأسرك وأنت تقرأ:

﴿وسِيْقَ الذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زُمَرًا﴾ [الزّمر: ٧٣]. إلى آخره.

والخلاصة: أن هذه المشاعر الملوّنة ليست مشاعر البيان، والمعاني والبديع، إنما هي روح القرآن المُعْجِز الذي لا تشابهه روحٌ في كلام البشر.

وهو الشعور الذي كان يتسلّل في قوة إلى قلوب العرب، فيعودون إلى كلامهم وأشعارهم فلا يجدون فيها هذا الروح.

وكانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلّم، كما أُثِرت عنه ترتيلاً مخالفاً بذلك إنشادَهم لأشعارهم، ونرى، والله أعلى وأعلم، أن الحكمة في أمر الدّيان، للنبي صلى الله عليه وسلم، بترتيل القرآن، في قوله تعالى:

﴿ورتِّل القرآن ترتيلاً﴾ [المزّمل: ٤].

ليكون استحضاره للرّوح العام للقرآن على أتمّ حالاته حتى يتمّ له بذلك التمكّن من الروح العام، مع تلوين أرواح القرآن التي عبّر عنها بعض الصحابة بالوجوه المختلفة للقرآن.

والأعظم من هذا أن الأوامر الإلهية الصادرة إلى النبي صلى

الله عليه وسلم تتحرّى الوقت الذي يكتمل فيه الاستجماع وتتهيّأ فيه الملكات لنهاية استعدادها، فتحثّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم على الترتيل فيها، وهو ما بعد نصف الليل:

**﴿يا أيها المزّمل. قُمِ الليلَ إلا قليلاً. نصفَه أو انقصْ منه قليلاً. أو زِدْ عليه ورتّل القرآن ترتيلاً﴾** [المزّمل: ١ - ٤].

وكان من أسباب ذلك تجديد الشعور بأرواح القرآن نزولاً، وتحديد الشعور بالروح العام صعوداً، حتى يبقى القرآن في القلوب على درجته من القوة والتأثير في نفوس التّالين والسّامعين في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وعبر العصور والقرون.

وقد فطن السادة الصوفية إلى هذا السلوك فأوجبوا على أنفسهم قيام السَّحَر، وقرآنَ الفجر المشهود من منطلق هذه النصوص:

١ ـ **﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾** [الذاريات: ١٧].
٢ ـ **﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾** [الذاريات: ١٨].
٣ ـ **﴿وقرآنَ الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾** [الإسراء: ٧٨].

وبقي أن تعرف، أخي المؤمن، أن هناك نوعاً من العلماء يسمّون بالحرفيين، أي علماء النقل والعقل المنفصل عن وعي الروح، فهؤلاء إذا رتّلوا القرآن، يغلب عليهم تأمّل لغة القرآن وأساليبه، ولا يرتقون من هذا المنطلق إلى أرواح الآيات المختلفة، ولا إلى روح القرآن العام، وكأنهم لم يمرّوا على تسمية الرب جلّ وعلا للقرآن، روحاً ونوراً، وهدىً، وضياءً، وكلّها

معـانٍ، أسمى وأرقى من معاني الأسـاليب البـلاغيـة القـاصـرة عن الوصول إلى سمو ورقيّ في الفيض الربّـاني في أروع إعجاز بيـاني لسـرّ القرآن وهي عـاجزة تمـاماً عن كشف الحجب عن سـرّ الغيب في كلام الربّ القديم في علمه المكنون.

لماذا كان ترتيل القرآن عبادةً سامية؟

إن قال دعاة العلم بالنقل والعقـل، أعني الحرفيين، أنـه عبادة كما أمر الله بها، فقد حـرموا وعجـزوا عن استجماع روح القـرآن، وتأثيرهم به في السامعين.

إننا نسمع الآيـة من القارىء تلو الآيـة فنجد اختـلافاً في روح الأولى عنها في الثانية وهكذا، من قارىء غير الآخر، فنشعر بأثرها في النفوس، وما ذلك لأسباب صوتية و تقاسيم موسيقية، وإنما هي نفحـة القـدرة العليّـة ومـدى القـدرة على استجمـاع أرواح القـرآن مجتمعة أو متفرقة، وبقدر الشفـافية والمنـح تختلف قوة التـأثير من شخص عنها في الآخر. والقرآن ذِكْر وهو أعلى مراتب الذكر.

وإن كان في تأملهم في فنون البيان والمعـاني والبديـع، فليس في تلك الفنـون ما يمتّ للعبـادة و للثـواب، لا من قـريب ولا من بعيد، فهي وسائل وليست غايات.

وليس لنصوص البلاغة المحفوظـة تأثيـر الروح العـام للقرآن، بأي حال من الأحوال، والقاعدة العامة هي:

أن الجزاء على الغايات وليس على الوسائل.

والسؤال هو: هل يستطيع الحرفيون، أن يعلّلوا لنـا سبب كثرة

البكّائين لسماع القرآن، أو لقراءته كما جاء في القرآن في قوله تعالى:

﴿وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينَهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحق﴾ [المائدة: ٨٣].

وكما حدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم الصِّدّيق الأكبر رضي الله عنه.

هل كانوا يبكون من براعة التشبيه والاستعارة، أم من قوة البرهان، بل كانوا يبكون للإعجاز الروحي في سرّ الفيض القرآني المكنون، وهذا هو الإعجاز الحق، الممثّل في روح القرآن.

هذا هو القرآن الذي تصَّدَعُ الجبالُ من خشية الله، إذا أُنزِل القرآن عليها.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدِّعاً من خشية الله﴾ [الحشر: ٢١].

هذا هو السَّمْت الذي استوقف النبيَّ صلى الله عليه وسلم، على باب ابن مسعود ليستمع إليه وهو يرتّل القرآن، ويوصي أصحابه بأن يحذوا حذوه في القراءة.

فلا شيء إذن يحجب النفس عن تلقي فيض الحكمة إلا ما تعانيه النفوس من رانِ الإثم وكَدَر الذّنب، أيّ إثم وأيّ ذنب كان.

والحقيقة: أن التوحيد، في كل شيء قد غلب على النفس فاندرج الروح في النفس، واندرج السرّ وسرُّ السرِّ فيها فتوحّدت النفس، وتوحّد نظرها، وتحدّد قصدها، وأصبحت تبصر بعين

الحقيقة ونور اليقين، فتسمو بالروح إلى الروح الأعلى. فعادت إلى صاحبها بطرائف الحكمة، من غير أن تتلقى من عالِمٍ علماً.

﴿**يؤتي الحكمةَ مَنْ يشاء ومَنْ يُؤْتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والخلاصة: أن في القرآن: هدىً للمتقين.

وما الهدى إلا النّور، فلا هدى بغير نور، وما ذلك النور إلا روح الملأ الأعلى للنور الذي نشهده جميعاً.

فما هو إلا نور القلب الكاشف، وما هو إلا نور فيّاض على الكون دائماً، ولكن لا يتلقّاه ويدركه إلا المتقون.

وما التقوى إلا اتخاذ وقاية من غضب الله تعالى، أو وقاية من ظلمة الأغيار، أعني شطحات القلوب شكّاً في قدرة علام الغيوب، فإنه مانع للنور.

ولا تكون تلك القلوب صاحبة النفوس الكاشفة التي تعدّ أصحابَها لتلقّي نور الهدى، أو نور الكشف، أو نور الحكمة، أو نور الغيب، أو ذوق الكتاب العزيز أو الإحساس بروح الغيب المُعْجِز إلا بالإيمان بالغيب.

ونلخّص ذلك في الآتي:

١ ـ الإيمان بالغيب ابتداءً إيماناً مطلقاً دون اعتراض، ولا محاولة للجدل، ولا إقحاماً للنّفس في فهم كيفيته.

٢ ـ الانقياد والتسليم إلى انتهاج منهج تضمّن بضعاً وسبعين

شعبةً أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

﴿ألم. ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هُدىً للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصّلاة وممّا رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: ١].

# وجوه الإعجاز في القرآن

اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون معجزة الرسالة الخاتمة والآية الدالّة على صدق الرسول في التبليغ عن ربّه هي القرآن الذي جمع بين البيان الواضح، والإعجاز القاطع لحجة العناد والجحود، إنما حباه الله تعالى بهذه الخاصّية لتكون سبيلاً إلى استمرارية التبليغ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم واستمرارية وسائل الإقناع على مدى العصور والأزمنة.

وكلما انطوى سجلّ حقب من الزمان، كلما انجلى سرٌّ جديد من إعجاز القرآن، ومهما بحث الباحثون واغترف الشاربون من فيض ينابيع السرّ المكنون، أعني القرآن، ما أخذوا منه إلا ما شاء الله لهم أن يأخذوا وعلى قدر ما أودع الله في كل قلب بصائر في النور وصدق الحق سبحانه، إذ يقول:

**﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾** [الاسراء: ٨٥].

وقوله تعالى:

**﴿ولو أنما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدّه من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفدت كلمات الله﴾** [لقمان: ٢٧].

فمن فيض الإعجاز الربّاني في القرآن، أنه إذا افترضنا أن أشجار الأرض جميعاً صُنعت أقلاماً وكتب الكاتبون جميعاً كلٌّ على حسب ما وهبه الله من الإدراك العلمي واستنباط المعاني والأحكام وبقدر ما أوتي كل كاتب من قوة وجهد على الكتابة من حيث الحصر والتكوين ما نفدت كلمات الله، أي ما استطاعوا حصرها ولا فهم أسرارها.

واختصاراً للوقت وحصراً للفائدة إن شاء الله تعالى نوجز أوجه الإعجاز القرآني في ما يلي:

**أولاً: الموازنة الدقيقة بين اللفظ والمعنى:**

وحول هذا المعنى يقول العلامة ابن عطية:

إذ ترتيب اللفظة من القرآن، علم الله بإحاطته، أي أنّ اللفظة تصلح أن تلي الأولى وتبيّن المعنى بعد المعنى، وهذا النظم البديع من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمّهم الجهل والنسيان والذهول.

وكتاب الله تعالى، لو نُزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب أجمع على أن يأتوا بلفظة أحسن منها، لم يوجد، ولعجزوا.

وقد أكمل ابن سراقة هذا المعنى فقال: إنّ من اقتصر على معانيه وبدّل حروفه أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغيّر معانيه أبطل فائدته، فكان ذلك أبلغ في الدلالة على إعجازه.

أما الفخر الرازي، فقد أدخل في هذا الباب علم مناسبات الآيات والسور، وارتباط بعضها ببعض حتى صارت شيئاً واحداً،

ربناءً متيناً لا خلَلَ بين أجزائه، حتى قال: إن الإعجاز يكاد ينحصر في هذا المعنى الذي لا يوجد أبداً في كلام البشر.

**ثانياً: تفرّد القرآن بطريقة بيانية غير طرق العرب.**

وفي هذا المعنى يقول الأصفهاني في تفسيره:

بيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان هذا النظم مخالف لنظم ما عداه، فمراتب تأليف خمس:

١ ـ ضمّ الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل على الكلمات الثلاث: الإسم ـ والفعل ـ والحرف.

٢ ـ تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل على الجملة المفيدة ويسمّى هذا منثور الكلام.

٣ ـ ضمّ بعض ذلك إلى بعض ضمّاً به مبادٍ ومقاطع ومداخل ومخارج، ويقال لهذا المنظوم.

٤ ـ أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع.

٥ ـ أن تجعل له مع ذلك وزن، ويقال له، الشعر إلا أن الشعر يختص بالقافية.

أمّا محكم التنزيل، فيميز بالفاصلة.

والمنظوم إمّا محاورةً ويقال له الخطابة، وإمّا مكاتبةً ويقال له الرسالة، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام.

ولكلّ من ذلك نظمٌ مخصوص، والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظمٍ غير نظم شيء منها.

وقال الرماني، بعد أن ساق أنواع الكلام:

أتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام.

**ثالثاً: جمع القرآن لمراتب البيان في أسلوب واحد:**

قال أبو سليمان الخطابي: إن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات البيان متفاوتة، فمنها الجائز المطلق المرسل، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّةً، وأخذت من كلّ نوع شعبةً فانتظم لها بهذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة.

**رابعاً: روعته في القلوب:**

لقد فطن إلى هذا الوجه بعض المؤمنين بل وكثير من الجاحدين المنكرين أيضاً.

فيقول الخطابي: وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً غفل عنه الناس وهو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منطوقاً ولا منثوراً إذا قرع السّمعَ خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه.

وصدق الحق سبحانه إذ يقول:

﴿الله نزَّل أحسنَ الحديث كتاباً متشابهاً مثانيَ تقشعرّ منه جلودُ الذين يخشون ربَّهم ثم تلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله﴾ [الزّمر: ٢٣].

ويكتشف القاضي عيّاض أن هذه الروعة وتلك الهيبة كانت سبباً في إسلام بعض الكفار من بينهم جبير بن مطعم، عندما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور، فلما بلغ قوله تعالى:

﴿أم خُلِقوا من غير شيءٍ أم هُمُ الخالِقون﴾ [الطور: ٣٥]. إلى قوله تعالى:

﴿أَمْ هُمُ المُصيْطِرون﴾.

قال جبير: كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وَقَرَ الإسلامَ في قلبي.

خامساً: ما وراء التكرار في القرآن.

وهذا الوجه يمكن أن نسميه تجاوزاً بالتركيب الكيميائي للقرآن.

وذلك أن أسلوب القرآن من هذه الوجهة مركّبٌ تركيباً دقيقاً بالغ الدقة، بحيث تقرب منه التركيبات المعملية التي توزَن بمقادير بالغة الدقة، ولا تأتي بالنتيجة المأمولة، إذا اختلت هذه المقادير في جزء من مائة.

ولله المثل الأعلى لأن المعامل الكيميائية ومقاديرها من صنع

البشر، والقرآن بمقادير ربِّ البشر، الذي خلق كل شيءٍ فقدَّره تقديراً.

هذا توجيه من توجيهات التكرار في القرآن نتبيّنه واضحاً من قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألْفَيْنا عليه آباءنا أَوَ لَوْ كان آباؤهم لا يعقِلون شيئاً ولا يهتدون﴾ [البقرة: ١٧٠].

فهم لم يبلغوا النهاية في دعوى إيمانهم بالأوثان، لهذا استعمل الحق سبحانه في نفي هدايتهم لفظاً لا يبلغ النهاية في اليقين.

أما في سورة المائدة، بلغ الكفّار النهاية في الاعتداد بالأوثان بقولهم:

﴿حَسْبُنا ما وَجَدْنَا عليه آباءَنا﴾ [المائدة: ١٠٤].

ولهذا استعمل الحق سبحانه في نفي هدايتهم نفي العلم الذي هو أبلغ درجات اليقين.

﴿أَوَ لوْ كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً﴾ [المائدة: ١٠٤].

والعلم أرفع وأعلى قدراً من العقل بدليل أن الله تعالى لم يوصف بالعقل ولكنه جلّ ثناؤه موصوف بالعلم فهل ترى أدقّ وزناً لمعاني الألفاظ ومراعاة تناسبها.

وهكذا لمحات عن التكرار إلى آخر ما جاء في التنزيل والله أعلى وأعلم.

# قُطُوفٌ من عَظَمة القرآن

ووحدته الموضوعية من عظمة المتكلم بالقرآن الربّ الجليل جلّ وعلا، أودع فيه روحاً وسرّاً تجاوزت رسالته بهما الجنّ إلى الإنس في التأثير:

قال الجنّ حينما سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم:

﴿إنّا سمعنا قرآناً عَجَباً. يَهدي إلى الرُّشد فآمنّا به ولنْ نُشْرِكَ بربّنا أحداً﴾ [الجن: ١ - ٢].

واهتزّت عقيدة الشِّرك في قلب رجل من صناديد الكفر، هو الوليد بن المغيرة حينما سمع بعض آيات القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم: فقال:

«ما هو بقول بشر».

وفزع أئمة الكفر حينما رأوا تأثير القرآن على القلوب، فقالوا لزعمائهم: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تَغْلِبون﴾ [فصّلت: ٢٦].

وسعى أهل النّباهة من فتيان العرب من أمثال عبدالله بن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله علِّمني من هذا القرآن، حينما استأثَر قلبُه لسلطانه واستسلمت روحُه لروعته وهيبته وتعلّقت روح القرآن ببصائر قلبه، واستشرف على عتبات الإسلام.

**تلك واحدةٌ من دلائل عظمة القرآن:**

هي السلطان الروحاني الخفي في التأثير على القلوب وولايته على مدارك الإنس والجن على السواء وجاذبيته المضيئة لقلوب المهتدين وأيضاً للجاحدين.

وقد يكون لبعض المكتوبات البشرية سلطان على المشاعر وجاذبية للنّفوس ولكنها لم تصل في ماضي الزمان، ولن تصل في مستقبله إلى أعماق الروح، ولا إلى مستقرّ الإيمان واليقين.

**وثانية الدلائل على عظمة القرآن:**

صموده أمام دعوات الهدم على مدى التاريخ الطويل، وتصدّيه لهجمات الإلحاد الضارية في ميدان الحرب الفكري. فلم تزده تلك الهجمات إلا انطلاقاً إلى آفاق جديدة من الأرض، وانبلاجاً لنوره على صدر الزمان وأعماقاً بعيدة لجذوره في القلوب.

لقد عانت حاضرة القرآن من تسلط قريش، ومن جبروت الروم، ومن جدل الفرس، ومن سلاح الصليبيين، ومن لؤم اليهودية العالمية، وأخيراً من بريق المذاهب السياسية والاقتصادية، وأخصّها الشيوعية والصهيونية.

وكان من أبناء الإسلام أعوان لهؤلاء المتآمرين حاولوا قهر الأعزّة على أوهام الشيوعية، فأعزّوا وناصروا في سبيل ذلك أهل الأهواء، ولكن أولئك جميعاً ذلّوا أمام صلابة الحق في القرآن، وذهلوا حينما عجز المال والسلاح والتكتل الدولي عن النيل من إيمان أهل القرآن.

**وثالثة الدلائل على عظمة القرآن، بعد الصمود:**

الذي لا يستطيعه إلا الكتاب الحكيم، أنه كتّاب حضارة تندرج تحت لوائه الأمم والشعوب وتستسلم حضارتها لحضارته.

فما تلبث تلك الحضارات إلا ويحتويها الإطار الشامل للإسلام الرحيب، وتتخذ نفس الصفة الشرعية لخير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر داخل النفس وخارجها. وداخل الأمة وبين الأمم الأخرى، وتؤمن بالحق والعدل عن الله فَيْصلاً وحَكَماً بين الجميع، فلا عنصرية ولا عصبية، ولا استمساك بالذات، بل هو إنكارٌ لها.

فعظمة القرآن نابعة من أنه لا يستجدي الشعوب أن يتبعوه، ولا الحضارات أن تذوب في حضارته، بل يعرض أمام العالم وجهه السّمح الكريم.

ويكشف عن رحابته النادرة بين دساتير الحضارات في الوجود.

وعلى مرّ القرون ما زال كبار المفكرين في العالم كله يشيدون بتلك السِّمة التي استعصى عليهم الجهر بها، هذا الرّدح الطويل من الزمان.

**ورابعة الدلائل على عظمة القرآن:**

سرعته المذهلة في بناء الحضارات، إذا أتيح له من ينفّذ تعاليمه على نفسه وأهله، من القادة قبل أن ينفّذها على جمهور المؤمنين.

**وحضارة القرآن تختلف عن جميع الحضارات من هذه الوجهة:**

فالقرآن هو الفطرة البشرية التي لا تختلف فيها أمة ولا جنس، فهو مقنع لجميع الناس بجدواه وعظيم فائدته.

وهو دافع لهم بما يحتويه من وجوه الحكمة الملائمة لجميع الأجناس إلى الدرس والتدبّر الذي يزيد المؤمنين إيماناً مع إيمانهم، ويدفع الناس إمعاناً في استكشاف الحِكَم التي لا تنتهي، وإنما تنجلي الغيبيّات من أسراره وتنكشف الحُجُب إذا وَقَرَتْ في القلوب السكينةُ، لقوله تعالى:

**﴿هو الذي أنزلَ السّكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾** [الفتح: ٤].

ولن نستطيع بمداركنا البشرية أن نحصر عظمة القرآن فهي أكبر من أن تُحصىٰ.

* * *

وهـذا مـا أنعم الحق تعـالى بـه، ونِعَمُ الخـالق سبحـانـه لا تُحصىٰ . . .

وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

**خادم العلم والقرآن**

**محمد محمود عبدالله**

**مدرس علوم القرآن بالأزهر**

# الفهـــرس


مقدمة ..... ٥
حروف القرآن ..... ٧
تعريف القرآن العظيم ..... ١٣
الخطوة الأولى على طريق الحفظ ..... ٢٣
كيف تقرأ المصحف الشريف ..... ٢٧
علامات الوقف التي في المصحف ..... ٣١
معنى الوقف وأقسامه ..... ٣٤
مراتب القراءة ..... ٣٧
وجوب اتباع رسم المصحف العثماني ..... ٤٢
لم يُجمع القـرآن في مصحف واحد في زمن النبي ﷺ .... ٤٤
عدد سور القرآن الكريم وآياته وكلماته وحروفه ..... ٥١
عدد الآيات والكلمات والحروف ..... ٥٣
فضل قراءة القرآن الكريم ..... ٥٧
آداب تلاوة القرآن الكريم ..... ٦١
البسملة وحكمها ..... ٦٥
الإستعاذة ..... ٦٩

مبادىء علم التجويد ..... ٧٣
من القرآن إلى الفرقان ..... ٨١
إعجاز التلقي المحمدي للقرآن ..... ٨٦
مقاييس الإعجاز القرآني ..... ٩٤
وجود الإعجاز في القرآن ..... ١٠٤
قطوف من عظمة القرآن ..... ١١٠
الفهرس ..... ١١٥